الباب السادس

تربية النفس

(خُلق الإيمان)

سبق القول بأن الإيمان هو فطرة اللَّه التى فطر الناس عليها.. وأن النفس منذ أن استقرت فى الجسد وهى حريصة عليه وعلى تدبير أموره الدنيوية.. وأن انشغالها بالدنيا وزينتها وشهواتها قد أصّل فيها الأنانية وحب الشهوات وأنساها أوامر اللَّه تعالى من الحرام والحلال.. وبالتالى ابتعدت عن نورانية الروح الأصلية .. وزاد عليها الرين فى القلب حتى انفصلت بالكلية عن عالمها العلوى .. وأصبحت حبيسة الجسد وماديته.. وصارت ملقبة بالنفس الأمارة بالسوء .. فهى لا تهتم إلا بشهواتها.. وحدود معرفتها هى العالم المادى الدنيوى لا غير ..

فإن تنبه صاحبها لما هو فيه من الخطر والبعد عن اللَّه تعالى فبدأ فى جهاد نفسه وردها إلى الفطرة العلوية .. فإن ذلك يستلزم الجهاد الشديد ضد نفسه الأمارة بالسوء ليغير من أخلاقها ويردها إلى الصواب..

وأول منازل الجهاد هو أن يعرف العبد أولا ما هو عليه من سوء فعال .. وما اكتسب من أخلاق ذميمة .. ثم يقلع عنها ويتوب منها.. ويلى ذلك التخلق بالأخلاق الحميدة المطلوبة شرعا..

وحيث إن التوبة هى الندم على فعل الذنب والإقلاع عنه والعزم على عدم العودة إليه .. فيكون معناها تغيير أخلاق النفس .. وحيث إن أخلاق النفس مكتسبة كما قلنا فمن الممكن تغييرها بشئ من الجهاد .. يقول تعالى (الرعد-١١) :﴿ ... إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡۗ ... ﴾ فذلك يدل دلالة قاطعة على إمكان تغيير صفات النفس البشرية..

وانظر إلى أخلاق العرب فى جاهليتهم وكيف نقلهم الإسلام إلى أعلى درجات النفس وإلى الهداية الربانية العالية.. وكان أول ما تغير فيهم هى أخلاقهم .. ونظرهم وتقديرهم للشهوات الأرضية وزينة الحياة

الدنيا..وتصديق قول اللّه تعالى وقول رسوله أنها لا تساوى جناح بعوضة.. ثم ما تلا ذلك فيهم من فعل الطاعات والقربى إلى اللّه تعالى.. والجهاد فى سبيله بالمال والنفس..

كان الرجل يأتى رسول اللّه ﷺ فيؤمن به .. ويشهر إسلامه وفى يده تمرات يأكلهن .. والحرب على قدم و ساق .. فيقول : يا رسول اللّه أليس بينى وبين الجنة إلا ان أحارب فأُقتل فأدخلها .. فيجيبه رسول اللّه بالإيجاب .. فيلقى الرجل ما فى يده من تمرات ويقول : إنها إذاً لحياة طويلة . أى لم يعد عنده صبر على عدم دخول الجنة حتى ينتهى من أكل تلك التمرات .. بل هو يستعجل الجهاد .. والجنة ..

فانظر كيف غير الإيمان فى قلوبهم نظرتهم إلى الدنيا وشهواتها وانظر كيف تبدل فى نفوسهم يقينهم بالأخرة وثوابها.

وقوله ﷺ فى الحديث عن أبى هريرة رضى اللّه عنه أن الناس معادن وإن خيارهم فى الجاهلية خيارهم فى الإسلام إذا فقهوا .. يدل على أن طباع النفوس من قوة وضعف إنما هى فى أصلها وأساسها ومعدنها .. فالنفس أو الروح القوية الأصل تكون قوية فى الشر بحكم قوتها الذاتية .. كما تكون قوية أيضا فى الخير إذا تبدلت صفاتها واتجهت إليه .. ذلك لأنه أصلها ومعدنها هو القوة..

فتغيير الأخلاق فى النفس ممكن بلا شك .. والطريق إليه هو كما أشرنا إليه يبدأ بمعرفة ما هى فيه من البعد عن اللّه تعالى .. وذلك لا يكون إلا بدراسة أحكام الشرع وحدود الحلال والحرام .. وهذا هو العلم المكتسب بالقوة التفكيرية فى النفس كما قلنا من قبل ..

وقوله ﷺ إن طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة إنما يقصد به فى الدرجة الأولى ذلك العلم الضرورى بأسس العبادات للّه تعالى من طهارة وصلاة وزكاه وصوم وحج ومعرفة الكبائر والصغائر .. وما يدعو

إليه الدين من فضائل الأعمال.. وأن يفرق بعلمه هذا بين الحرام والحلال والجائز والمكروه والمستحب .. وأن يتعلم كذلك كيفية تلاوة القرآن الكريم ونطق حروفه وإظهار مخارجها ..

فهذا العلم هو فرض عين على كل مسلم ومسلمة قادر أو قادرة عليه بأية وسيلة للتعلم سواء بالقراءة أو الاستماع .. أو تقليد من يثق فى صلاحه وتقواه وعلمه..

ولعل المقصود من قول رسول اللَّه ﷺ " رفع عن أمتى .. الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه " كما رواه الطبرانى أن الخطأ هنا مقصود به الخطأ الناتج عن اجتهاد سبقه علم .. أى مسألة عرضت لإنسان فجأة .. فاجتهد فيها على قدر علمه بالشرع فأخطأ .. أما أن يكون جاهلا بها من الأصل دون عذر مقبول مع عدم اجتهاده فى معرفة الخطأ والصواب فذلك شأن آخر.

ولأضرب لك مثال من أحكام الفقه عندنا : إذا نزل المسلم فى مكان وحان وقت الصلاة فتحرى القبلة بسؤال صاحب المكان أو باستجلاء الجهات الأصلية وصلى على هذا الأساس بعد أن اجتهد على قدر استطاعته .. فإن ظهر له بعد انتهاء الصلاة أنه كان إلى غير إتجاه القبلة فإنه لا يعيد الصلاة .. لأنه قد اجتهد قدر طاقته فإن اخطأ بعد اجتهاده فاللَّه يغفر له خطأه..

أما إذا لم يسأل عن القبلة ولم يتحرَّ اتجاهها .. وصلّى دون اجتهاد منه ثم ظهر له بعد انتهاء الصلاة أنه قد صلى على غير القبلة فإنه تجب عليه إعادة الصلاة .. لأنَّهُ لم يجتهد فى معرفة الصواب .. فخطؤه على نفسه ومسئول هو عنه..

فأنت ترى أنه لم يصل إلى جهة القبلة فى الحالتين .. غير أنه إذا اجتهد قدر استطاعته فلا إعادة عليه.. وإن قَصرَّ فى الاجتهاد فعليه

الإعادة ..فالمطلوب هو الاجتهاد..

وقولنا إن المسلم عليه أن يتعلم قدر استطاعته هو محل نظر.. فالنفس بطبعها تميل إلى الكسل والشهوات وتتعلل بالأعذار .. فإذا كنت فى بلد إسلامى .. وحولك مسلمون والمساجد بها الأئمة والعلماء.. والدعاة فى كل حى وشارع .. والكتب التى تشرح النواحى الإسلامية ميسرة فى كل مكان .. فأى عذر لك بأمور دينك وأى استطاعة أنت لا تقدر عليها سواء كنت أميّا أو غير أمىّ!!.

إنك لو جعلت لك فى كل يوم دقائق معدودة لتنال من هذا العلم ما هو ضرورى لكفتك هذه الدقائق .. فإن كنت تضيع وقتك كله فى المدارس لدراسة العلوم الدنيوية . ثم تُضّيع بافى وقتك أمام أجهزة الإعلام ومسلياتها . فاى عذر لك إن أضعت نفسك بجهلك بأحكام دينك.. وأى استطاعة أنت لا تقدر عليها.

نعود فنقول إن هذه الدرجة الأولى من درجات العلم هى التى تنير لنفسك أول الطريق إلى اللّه تعالى لتعرف بداية أين أنت من الحلال والحرام ..

ثم بهذا العلم المكتسب .. تبدأ أنت فى الحكم على أعمالك المطابقة للشرع وغير المطابقة له .. وكذلك تستطيع الحكم على الخواطر النفسية التى تسبق الأعمال كما قلنا سابقا .. فإن خطر لك خاطر بأمر ما وزنته بميزان الشرع وعرفت إن كان حراما أو حلالا..

واعلم أن الخواطر الظلمانية .. أى التى تدعوك إلى فعل الشر هى نوعان .. الأول من الشيطان .. والثانى من النفس .. وكلاهما سيئ.. ولكن لكل منهما علاج .. فإن ألحّ عليك الخاطر وعاودك بذاته لا يتغير مرة بعد مرة فهو من النفس لتعلقها بفعله وشهوتها له.. أما إن تغير الخاطر وعاودك خاطر ظلمانى غيره فهذا يكون من الشيطان .. لأن إبليس لا

يعنيه ذنب معين .. فإن لم تستجب له فى معصية دعاك لأخرى .. وهكذا..

وخير علاج لقطع هذه الخواطر الظلمانية إجمالا عنك هو تلاوة القرآن .. وذكر اللّه تعالى ..

فإذا ما علمت حدود الحرام والحلال من دينك فقد أصبح لديك ميزان الشرع الإلاهى .. ونوره الفارق لك بين الحق والباطل.. فليس لك ميزان غيره تعرف به الخطأ من الصواب فيما يعرض لك .. حينئذ يجب عليك أن تتنبه إلى ما أنت فيه من فتن كقطع الليل المظلم والعياذ باللّه.. وهذه الفتن هى مادرج عليه الناس من معاصى وساروا عليه من نهج ضال حتى صار لهم عادة وعرفاً يتحاكمون إليه .. فاحذر هذه الفتن وانظر إلى قوله تعالى (الأنعام-١١٦):﴿ وَإِن تُطِعۡ أَكۡثَرَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ ...﴾، وإلى قوله ﷺ "لا يكونن أحدكم إمعة يقول أنا مع الناس إن أحسنوا أحسنت .. وإن أساءوا أسأت.. ولكن وطّنوا أنفسكم "

فالإسلام لا يعترف بعرف اجتماعى ولا قيمة اجتماعية إلا إذا كانت مطابقة لشرع اللّه تعالى .. وموزونة بميزان الحلال والحرام .. فلا حلال إلا ما أحله اللّه .. ولا حرام إلا ما حرمه اللّه تعالى .. أما العادات والأعراف فهى كما قلنا من قبل تختلف من مجتمع إلى مجتمع ومن طبقة إلى أخرى .. ومن بلد إلى بلد.. فاحذر أن يُضَيِّع عليك التشبه بالناس واستجلاب رضاهم رضا الله عنك .. فإن أسوتك وقدوتك هو رسول اللّه ﷺ.. وأنت محاسب على أعمالك وليس على أعمال الناس. وليس لك منهم شفيع يوم القيامة..

واعلم أن الأصل فى العبادات والطاعات هو الاتباع وليس

الابتداع.. فليس لك اجتهاد ولا رأى فى أمور الدين التى أقَرها اللّه ورسوله.. وكل أمر تراه بين الناس وليس له سند ولا دليل شرعى يرفعه إلى كتاب اللّه وسنة رسوله وسنة الخلفاء الراشدين من بعده وصحابته الكرام فهو مرفوض مردود .. فقد أتم اللّه الدين وأكمله على رسوله ﷺ فلا تغير فيه بنقص أو زيادة ..

أما الأصل فى الأمور الدنيوية فهو الحِلّية أى التحليل.. فلا يحرم إلا ما حرم اللّه ورسوله .. ولا تسل عن السبب فى التحريم والعلة فى ذلك فإن العلم حتى اليوم لم يكتشف أسرار الكون ولا يدرك منها إلا أقل القليل.. وبالتالى لا يستطيع أن يدرك الضرر من كل ما حرم الدين.. فإن عرفت سبب التحريم فهو خير.. وإن لم تعرف فليس ذلك بالضرورى.. فالمقصود هو السمع والطاعة لأوامر اللّه بلا تعليل ولا تفنيد .. أى كما قلنا سابقا إن الدين هو ألوهية .. وعبودية .. فقط.

ونقطة أخرى نوردها لأهميتها .. تلك هى أن النفس بطبعها لا تعيش فى فراغ فهى إن لم تشغلها أنت بالحق شغلتك هى بالباطل.. ولا يمكنك تغيير أخلاق النفس إلا إذا أبدلتها بما يشغلها .. وقد سبق القول بأن النفوس فتنة بعضها للبعض .. فالنفوس الأقوى من نفسك شراً تجذب نفسك إلى الشر .. والنفوس التى هى أقوى من نفسك فى الخير تجذب نفسك إلى الخير .. فإن أردت أن تغير صفة ذميمة فى نفسك فلن تستطيع إلا إذا استبدلتها بصفة حسنة أخرى وتركت المجال والجو العام الذى تنمو فيه تلك الصفة الذميمة وعشت فى الجو العام الذى تعيش وتنمو فيه هذه الصفة الحميدة..

يقول ﷺفيما رواه أبو داود والبيهقى عن أبى هريرة رضى اللّه عنه "تحولوا عن مكانكم الذى أصابتكم فيه الغفلة " حديث صحيح.

وهذا يوضح لنا أنه حتى الأماكن فيها ما هو مبارك يساعدك على ذكر اللّه تعالى ، وفيها ما هو غير ذلك.

فإذا كانت نفسك مثلا تميل إلى اللّهو والطرب.. وتجلس فى مجالس أهل الفسق والفجور .. وأردت توبة من هذا الأمر .. فاستبدل مجلسك هذا بمجلس خير وذكر فى مسجد مثلا .. فتترك المكان إلى المسجد.. وتترك الطرب واللّهو إلى الذكر .. أما إذا انقطعت من مجلس اللّهو والطرب ولزمت بيتك دون أن تقوى نفسك بطاعة بديلة فإن النفس سرعان ما تملّ المنزل وتحنّ إلى اللّهو .. ولا تزال تعاودك وتلحّ عليك حتى تعود كما كانت..

فعليك أن تعامل نفسك كالطفل إذا تعلق بدمية تؤذيه .. فخذها منه وأعطه بديلا منها لعبة أخرى يتعلم منها ما ينفعه .. فهذه هى التربية.

واعلم أن النفس هى كالطفل حقيقة .. فهى سريعة التأقلم إن وجدت منك إصرارا على تقويمها.. وانظر إلى أمر بسيط نلاحظه فى شهر رمضان .. فأنت تجد صعوبة فى صيام الأيام الأولى منه وتشعر بالجوع والعطش فى أوقات إفطارك وغدائك .. وعشائك قبل الصيام فإذا انتهى رمضان فإنك تجد نفسك قد تعودت على الإفطار والسحور ولم تعد تقبل إفطارا وغداءً حتى تتعود مرة أخرى على النظام الجديد..

وكم من أمور فى حياتك العادية أنت تعتبرها ضرورية لمعيشتك ولا غنى عنها.. فإذا اضطرتك الظروف القهرية إلى تركها والتنازل عنها.. انعدمت رغبتك فيها وصرت تنظر إليها على أنها لا ضرورة لها..

ومقصود كلامنا هو أن تعامل نفسك كالـمُربِّى لها .. وأنت الأعلم بما يصلحها وما يفسدها وميزانك فى هذا هو ميزان شرع اللّه لا غير.

ومن هذا تفهم قوله ﷺ "إنما العلم بالتعلّم .. والحلم بالتحلّم"..

وقوله ﷺ "اقرأوا القرآن وابكوا .. فإن لم تبكوا فتباكوا .." فكل هذا هو تدريب للنفس وتوطين لها لاستخراج ما فيها من خير .. حتى يصير اصطناعك للطاعة والعبادة طبيعة لا اصطناع فيها ..

ولا تتصور أن هذا هو النفاق أو الرياء .. فإنما النفاق والرياء لمن يقصد الناس فى العمل من دون اللَّه تعالى .. بينما أنت فى كل هذا تقصد وجه اللَّه تعالى وتقصد مداواة نفسك من أمراضها ولا مانع من وضع بعض العسل أو السكر فى الدواء حتى تستسيغه النفس فى البداية.. فإن ذاقت بعد ذلك حلاوة الإيمان والشفاء من أمراضها صارت العبادة هى مبتغاها وراحتها ..

وهذه المرحلة هى أشد المراحل فى تهذيب النفس ذلك لأنها فى أسفل سافلين وغارقة فى شهوات الدنيا من كل جانب .. ونورها ضعيف .. ومنطقها عقيم .. وتفكيرها مُعتل .. لذلك وجب عليك صدق الالتجاء إلى اللَّه تعالى وكثرة الدعاء والرجاء إليه والاستجارة من نفسك وغوائل شهواتها .. وأن تستعين بالصالحين من عباد اللَّه الذين سبقوك فى هذا العلاج وتكثر الجلوس معهم لتستفيد من أرواحهم ونور مجالسهم و علمهم .. فلا تصاحب إلا من يعينك على طاعة اللَّه وأن تبتعد عما يلهيك عن ذكره جل شأنه..

فإن فعلت هذا -وإنك إن شاء اللَّه لفاعله- فإنك ترى الأمور حينئذ على حقيقتها وقد تكشفت لك .. فتعلم إلى أى مدى أنت بعيد عن اللَّه تعالى ؟.. وكيف أنك قد نسيت آخرتك وموتك .. وعذاب القبر وتركت ربك وهدايته ..

وبهذا يبدأ الندم ينمو فى نفسك .. والحرص على الطاعة يزداد فيها ويكبر الصراع فيها بين الخير والشر .. ولكنك الآن قد عرفت الشر ومقاييسه وأصبحت لا تلتمس العذر لتهاونك فى طاعة اللَّه .. فتذكره مرة

وتغفل عنه مرات .. وتنازعك نفسك إلى الدنيا فتنجح فى ردعها مرة وتفشل مرات .. فهذه هى رتبة النفس اللوامة التى أقسم اللّه تعالى بها فى كتابه من شدة ما تعانى من جهاد وتعب .. فلا هى مطمئنة إلى الآخرة .. ولا هى تاركة لشهوات الدنيا..

وهذه المرتبة هى تقريبا مرتبة عامة المسلمين .. فهم بين الخير والشر والذكر والغفلة..

ومن خطورة هذه النفس كثرة لومها على نفسها وعلى الناس أيضا.. فهى كثيرة اللوم والنقد لهم .. والخطورة تكمن فى أن انشغالها بالناس والحكم عليهم وعلى أعمالهم قد يجرها إلى الغيبة والنميمة والحقد والحسد والتكبر على عباد اللّه لظنها بأنها افضل منهم .. وكذلك قد يجرها إلى مزيد من الرياء لتظهر بمظهر من هى أفضل وأقوم ..

فالحصيف وهو فى تلك المرحلة هو من لا يتعدى نظره نفسه باحثاً عن عيوبها .. محاولا تقويمها مريحا الناس من شره . ولا ينظر إلا إلى من هو أكثر منه عبادة وتقوى لعله يستفيد منه ..

ويعلمك رسول اللّه ﷺ مفاتيح تأديب النفس فيقول " أمسك عليك لسانك .. وليسعك بيتك .. وابك على خطيئتك" .. فالصمت إلاّ عن ذكر اللّه تعالى هو أعظم باب للتقوى .. والانعزال عن الناس إلا للضرورة من معيشة وعلم وأدب أو عمل هو خير باب للتفكير فى نفسك وقضاء وقتك فيما يفيدك فى الآخرة .. والندم على الخطايا والذنوب هو خير باب للتوبة النصوح والإقبال على اللّه تعالى ..

واعلم أن العبد مطالب فى تدرج تهذيب نفسه بالبعد أولا عن الكبائر .. ثم اجتناب الصغائر .. مع الاقبال على التمسك بسنة رسول اللّه ﷺ قدر استطاعته ويزيد تمسكه بها إقتداؤه بالرسول ﷺ شيئا فشيئا..

يروى أحمد ومسلم وغيرهم عن أبى هريرة رضى اللّه عنه ان رسول اللّه قال ﷺ " ذرونى ما تركتكم ، فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم ، فاذا أمرتكم بشيئ فاتوا منه ما استطعتم ، واذا نهيتكم عن شيئ فدعوه " حديث صحيح

واعلم كذلك أن أغلب الكبائر إنما تجرك إليها الصغائر.. فالزنا وهو كبيرة بابه النظر إلى المحرمات .. فالنظرة سهم من سهام إبليس كما قالﷺ فإن وفقك اللّه وأعانك على اتقاء هذه النظرة فقد أغلقت فى وجه إبليس باب الزنا .. وهكذا تجد لكل كبيرة مفتاحاً لها من الصغائر.. فالطمع فى الدنيا يجر إلى الربا .. وحب المال يجر إلى الظلم.. والغضب قد يدعو إلى القتل .. وهكذا..

وحب الدنيا فى الحقيقة هو باب كل خطيئة .. فإن زهدت فيها بقلبك ولم ترد منها إلا الضرورة التى تحفظ عليك وعلى أهلك الستر مع الكفاف فقد أرحت نفسك من جهاد كبير.. يقول ﷺ " اليد العليا خير من اليد السفلى .. وابدأ بمن تعول ولن تلام على كفاف .." يعنى أن معطى الصدقة خير من آخذها .. والواجب عليك أن تكفى أولا من تعولهم لأنك مصدر رزقهم الذى جعله اللّه لهم .. ولا تسرف ولا تقتر .. ولكن عليك بالكفاف. أى بحد الكفاية .. ولن تلام عليه من مؤمن منصف أما إن لامك أهل الدنيا وأصحاب شهواتها فلا تلتفت إليهم فإنما هم فتن حولك..

وليس المقصود بالزهد فى الدنيا هو أن تترك أسباب معاشك وتعيش فقيرا تتكفف الناس .. فهذا ليس بالزهد.. فربّ فقير محروم متمسك بالدنيا حريص عليها مشغول بها قلبه .. ورُبّ غنى متيسر الحال وهو زاهد فيها لا يلتفت إليها .. فالمقصود بالزهد هو ألا ينشغل بها قلبك ليل نهار وألا تكون هى أكبر همك ومنتهى أملك فإن جاءتك فبها

ونعمت.. وإن لم تأتك فقد أراحتك من الهم فيها .. فلا مانع أن تكون الدنيا كلها فى يدك ولكن انشغال قلبك لا يكون إلا باللّه والدار الآخرة فهذا هو المقصود من الزهد فى الدنيا .. فمن انشغل بالدنيا نسى الآخرة .. ومن انشغل باللّه نسى الدنيا والآخرة فافهم ، ولقد كان فى صحابة رسول اللّه ﷺ أغنياء مُوسِرون وكانوا زهاداً لا تلهيهم الدنيا ولا ما فى أيديهم ويعطون عطاء من لا يخشى الفقر .. والغنى الشاكر افضل عند اللّه من الفقير الصابر .. لأن الغنى الشاكر ناظر إلى المنعم المتفضل عليه رب العالمين.

فالزهد المطلوب هو ألا تنشغل بالدنيا حتى وإن كانت فى يدك فلا تأس على ما فاتك منها.. ولا تفرح بما أتاك فيها .. فلا تطلب من الدنيا ما قد يطغيك .. ولكن اطلب من اللّه تعالى ما يسترك أنت وأهلك.. فإن جاءتك الدنيا فأحسن القيام للّه فيها بما أوجب ولا تشغل قلبك عن اللّه طرفة عين .. أما الطمع فى الدنيا فلا نهاية له كالشرب من ماء البحر لا يزيدك إلاَّ عطشا .. ولو أن لابن آدم واديا من ذهب لتمنى أن يكون له واديان .. ولا يملأ جوف بن آدم إلا التراب.. وصدق رسول اللّه.

فازهد فيما فى أيدى الناس يحبك الناس .. وازهد فى الدنيا يحبك اللّه ..

وأقوى سلاح لك على نفسك فى هذه الدرجة .. وفى كل درجات النفس بلا استثناء هو ذكر اللّه تعالى .. وخير الذكر هو قول لا إله إلاَّ اللّه .. ترددها بلسانك وتكررها وأنت فى كل حالة وفى كل وقت فإن لها سراً عظيما فى قطع خواطر النفس والشيطان وهذا ما تحتاجه أبداً واجعل القول بلسانك وتعلم كيف يذكر قلبك مع لسانك فيردد معناها وهو ألا معبود بحق إلا اللّه .. أولا مقصود لك إلاَّ اللّه .. بل فى الحقيقة

لا موجود بحق دائم الوجود إلا اللّه تعالى .. فلابد أن تردد بلسانك القول وبقلبك المعنى فإن ذلك ينير قلبك ويسمو بروحك .. ومع تكرار ورود المعنى على قلبك سوف تتذوق بإذن اللّه معانى عَليَّة .. لا تقال فى بيان .. ولكنك تحس بها فى قلبك فإن ذكر اللّه الخالص يطمئن القلب وينير البصيرة .. وكذلك الذكر بلفظ الجلالة .. وهو اسم اللّه .. الجامع لجميع الأسماء والصفات فإن له نوراً يحرق جميع الخواطر لينير قلبك بعد ذلك باللّه تعالى فافهم ..

أما استغفار اللّه تعالى فهو الباب الأعظم للتوبة الصادقة وإدرار الرزق عليك .. ألا ترى إلى قول اللّه تعالى فى سورة نوح:﴿ فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّـٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَـٰرًا ﴿١٢﴾ ﴾

وإذا كان رسول اللّه ﷺ يقول "إنى استغفر اللّه تعالى فى اليوم سبعين مرة" وفى رواية "مائة مرة" وهو المعصوم من الخطأ والزلل .. فكيف بأمثالنا وذنوبنا ومعاصينا!!

أما الصلاة على رسول اللّه ﷺ فهى باب كل خير كما سبق أن قلنا وأنوارها تنير بصرك وبصيرتك وروح رسول اللّه ﷺ تؤانس روحك ويصلى عليك اللّه وملائكته .. ويذهب همك وينجلى كربك بنور الصلاة عليه ﷺ.

فهذه الأنواع الثلاثة من الذكر لازمة لك ولنفسك ولا غنى عنها..

ولكن هناك أمر فى غاية الخطورة .. وذلك هو ضرورة دوام واستمرار هذه الأذكار وإن قلّت .. فالقليل الدائم خير وأنفع من الكثير المنقطع .. ذلك لأن استمرارية الذكر باللّه تعالى يوالى تنزل الملائكة

على النفس بالرحمات والأنوار .. والانقطاع يحمل فى معناه أن اللّه تعالى لا يستحق منك هذا الذكر.. وصنبور الماء الذى تنزل منه نقطة نقطة تراه بعد زمن وقد أثرت نقاط الماء فى جانب الحوض الشديد الصلب .. بينما لو جمعت هذه النقاط الضعيفة المتتالية كلها وارقتها دفعة واحدة لما تركت أى أثر فى جدار الحوض..

فدوام الذكر أعظم شأنا من كثرة الذكر بلا استدامة عليه..

وكل ما ذكرناه سابقا أمور عامة تصلح لكل نفس .. ثم يبقى بعد ذلك أن تبحث أنت عن أحب أوجه الخير إليك .. فالأوفق فى هذه المرحلة أن تأخذ نفسك بما يناسبها من فعل الطاعات .. والا تشتد عليها فتسأم وتتمرد عليك .. فالأفضل أن تهادنها فى طاعة اللّه .. فنفس تميل إلى تلاوة القرآن .. ونفس تميل إلى ذكر اللّه .. ونفس تميل إلى قضاء مصالح الناس .. ونفس تميل إلى الاطلاع والعلوم الدينية .. وهكذا.. فالأوفق أن تختار لنفسك ما يوافقها من أوجه الخير وتزداد فيها نشاطا وعملا مع توجه قلبك إلى اللّه تعالى فى كل ما تعمل...

واعلم أن كل ما ذكر من جهاد لا يصلح معه إلا الرزق الحلال.. فإن أكل الحرام هو السبب فى كل معصية .. فاجتهد فى طلبه ودع ما يريبك إلى مالا يريبك فيه ..

ولا يثمر الجهاد ثمرته إلا إذا وجهت وجهك ووجهتك إلى اللّه تعالى .. فإن لم تخلص له جل شأنه وتبتغ وجهه الكريم وتتعلم كيف يتحدث قلبك بالشكر إليه ومراقبته جل شأنه وتجدد نيتك وتزكها فى كل ما تفعل فقد أجهدت نفسك بلا ثمرة..

ولا يخلو السير إلى اللّه من نكوص النفس إلى عاداتها وشهواتها .. فإن غلبتك نفسك وقُدِّرَت عليك فاحشة .. فاذكر اللّه تعالى واطلب رحمته وغفرانه.. وتب إليه .. حتى وإن تكرر الذنب فإن اللّه لا يملّ من

المغفرة حتى يملّ العبد من الاستغفار والتوبة .. فأنت تقصد كريما وسعت رحمته كل شئ .. وكل ابن آدم خطاء .. وخير الخطائين التوابون..

فاتجه بقلبك إلى اللّه دائما فى طعامك وشرابك وعملك وذكرك.. ونعمائك وبلائك فإن غفلت فارجع إليه .. وإن أذنبت فاستغفره.. وإن نسيت فاذكره .. فذلك أصل الهدى لمن أراد اللّه له الخير .. ويعينك على العبادة والطاعة ويورثك نوراً فى قلبك تنبسط له الجوارح بالعبادات والطاعات.. فاجعل همك الأكبر هو توجيه نيتك إلى اللّه فذلك هو المطلوب أولاً وأخيراً..

وتربية النفس عموما لها طريقان لا ثالث لهما .. فالأول ان تُعلّم جوارحك الطاعات وكثرة العبادات والبعد عن المنكرات والصفات الذميمة فى النفس .. فتنصب هذه الثمار على قلبك حتى ينير بإذن اللّه فيكون مثلك كمن أراد أن يروى أرضا له فحفر قنوات من الأنهار تمدها بالماء من كل جانب .. فكل قناة هى أسلوب عبادة تمد قلبك بالنور والهدى ولابد أن تكون حريصا على وصول الماء إلى أرضك من كل قناة بإحسان العبادة وحسن أدائها حتى تضمن ثمرتها إلى قلبك.. وهذا الأسلوب فيه جهاد كبير وفيه خطورة الانتكاس إذا ملّت النفس ولم تنجح فى سياستها ..

والثانى أن تتعلم مراقبة اللّه بقلبك أولا وتستعين بالذكر وحسن توجيه قلبك إلى اللّه دائما من البداية فحينئذ تنبسط جوارحك بالطاعة دون تكلف لأنك قد أصلحت قلبك أولا وهو المحرك لافعالك والدافع إليها فيكون مثلك حينئذ كمن حفر بئرا فى أرضه تمده بالماء العذب على الدوام .. فلا يخشى انقطاع الماء عنها من القنوات الفرعية.. فإن فيضان الماء من بئرك الخاص إلى أرضك الخاصة خير لك من سريان الماء إليها من قنوات موصلة إليها من الخارج .. فربما قطعها

عليك قاطع من النفس أو الشيطان بتكاسل أو غواية فتموت الأرض أو تجهد نفسك مرة أخرى فى حفر قنوات جديدة ..

لذلك فالتركيز على القلب منذ البداية وحسن مراقبة اللّه تعالى وصدق التوكل عليه والإخلاص له هو الأفضل والأكمل .. ألا ترى إلى قول رسول اللّه ﷺ " ألا وإنَ فى الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله و إذا فسدت فسد الجسد كله .. ألا وهى القلب " فالابتداء بحسن توجيه القلب خير من الابتداء بجهاد الأعمال .. والجمع بين الاثنين أتم وأكمل ..

لذلك يقول الصالحون إن من دلّك على الدنيا فقد غشّك .. ومن دّلك على العمل فقد أتعبك .. أما من دلك على اللّه فقد صدقك ونصحك ..

والمقصود بالدلالة على اللّه تعالى هو حُسن توجيه القلب إلى اللّه وتصفيته من الأكدار و الأدران الحيوانية ، ومن داوم على قرع الباب يُفتح له الباب .

وأعظم ما يعينك على تنقية قلبك وصدق التوجه إلى اللّه تعالى اختيار الصحبة المؤمنة الصالحة ومجالسة المؤمنين من عباد اللّه وقد سبق القول بأن النفوس والأرواح تغذى بعضها بعضا إما بالخير وإما بالشر والرجل على دين خليله فانظر من تخالل كما يقول رسول اللّه ﷺ.. لذلك قال رسول اللّه " لا تصاحب إلا مؤمنا ولا يأكل طعامك إلا تقىّ ". أى لا يدخل بيتك وتأتنس إلا بتقىّ .. فالأرواح المؤمنة .. والقلوب الذاكرة للّه تعالى هى مهبط الملائكة ومحل الأنوار الإلاهية كما سبق القول فأنت بجلوسك معها مستفيد منها على كل حال .. إما بتعلم أو بدعوة صالحة من أصحابها أو بتأثير قلوبهم على قلبك .. واللّه تعالى يقول عن يوم القيامة فى سورة الزخرف:﴿ ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ

لِبَعۡضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلۡمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾ يَٰعِبَادِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡكُمُ ٱلۡيَوۡمَ وَلَآ أَنتُمۡ تَحۡزَنُونَ ﴿٦٨﴾ ﴾

وسوف يأتى بيان الصفات الذميمة التى يجب أن تهذبها فى النفس وكذلك الصفات الحميدة التى يجب أن تتخلق بها فى هذا الباب والباب الذى يليه بإذن اللَّه.

وتنبه إلى أن النفس فى هذه المرحلة تختلط عليها المعانى والحقائق حتى فى منامها .. فلا تفرق بين الإلهام وأضغاث الأحلام .. وتميل إلى الجدل والانتصار للرأى ولا تعرف العدل فى الأمور فيصعب عليها اختيار أواسطها اللَّهم إلا إذا راجع العبد نفسه بدقه وجعل ميزان الشرع نصب عينيه .. وأكثر من ذكر الموت وذكر اللَّه تعالى .. ثم بتوفيق اللَّه تعالى أولا وأخيرا ..

فإن تجاوزت هذه المرحلة .. وحبب اللَّه إليك الإيمان وزينه فى قلبك وكرّه إليك الكفر والفسوق والعصيان فقد فزت بالخير العظيم ..

حينئذ يغلب عليك حب اللَّه ورسوله والمؤمنين .. وتصبح الطاعات عادة لك محببة إلى نفسك .. ويضيق صدرك وتندم أشد الندم إن غلبتك معصية أو ضعفت أمام إغراء .. فتسارع بالاستغفار وإتباع السيئة بالحسنة.. ويصبح فعل الخيرات لك سجيَّة مع قليل من المجاهدة.. فتتغير عاداتك ويغلب عليك ميزان الشرع وتزهد فى مظاهر الدنيا إلا على قدر الضروة .. وتحس بأثر الذكر والعبادة فى قلبك .. وتزداد للعبادة حبا وللذكر استغراقا فى القلب وتتبدل رؤاك ومناماتك فتصبح ذات مغزى تارة تفهم وتارة لا تفهم إلا بمعونة غيرك .. وتتعلق بعوالم الملكوت وتشعر بانجذابك نحوه .. ويكون نومك قريبا من يقظتك .. وتصدق أغلب خواطرك .. ويبدأ اتجاه حكمك على الأمور إلى بواطنها

أكثر من ظاهرها فتتنبه إلى أفعال اللَّه تعالى فى العباد والمخلوقات وتوقن أنها صور لا حول لها ولا قوة فيغلب على قلبك الحب والرحمة بالخلق وتميل نفسك إلى العفو عنهم والإحسان إليهم وذلك لمعرفتك بمدى ضعفهم الحقيقى .. ويلهمك اللَّه الصواب فى أمور كانت مشتبهة عليك من قبل فتبتعد عنها وعن الريب والشك وذلك بميل طَبَعىٍّ تجده فى قلبك .. وتعاف نفسك الكثير من مظاهر الدنيا وشهواتها .. وتحس بتدبير اللَّه تعالى لك وفى نفسك ولأمورك فتتعلم التسليم إليه والرضا بقضائه .. وتنبت فيك خصلة شكر اللَّه تعالى .. وتزهد نفسك فى الدنيا وما فيها .. وأمور كثيرة يصعب حصرها حيث إنها تختلف من نفس إلى أخرى .. ولكن ما ذكرناه هو الإطار العام الذى يحيط بالنفس.

فاعلم حينئذ أن اللَّه تعالى قد وفقك بفضله إلى أعلى درجة فى مرتبة النفس اللوامة وأن جهادك لنفسك بشرع اللَّه تعالى قد أثمر الخير بإذنه وعونه جل وعلا..

صحيح أنها لم تتخلص تماما من الصفات الحيوانية ولكن ميزانها قد صار لصالح عالم الملكوت وانجذبت إليه ومال طبعها إلى الخيرات.. وبدأت تتطلع إلى الآخرة والأمور الروحية الغيبية فتنكشف لها مبادئ تلك العوالم وتجذبها إليها ويبدأ فيها نمو علم الباطن وازدهاره.

فمن أراد اللَّه تعالى له الكرامة والعزة .. رفعه اللَّه تعالى من هذا المقام إلى مرتبة النفس الملهمة .. وهى النفس العالمة بالخير والشر بغير علم مكتسب لها بل بعلم موهوب من اللَّه تعالى وبنور فى باطنها فيكون ذلك لها ذوقا وحالا..

وتلك نفس تجافت عن الدنيا ولم تأخذ منها إلا الضرورات التى تقيم أودها وتستر عرضها .. وتتساوى عندها ملذات الدنيا بمصائبها.. فهى ليست ناظرة إليها أصلا .. قلبها شاكر .. ولسانها ذاكر .. وروحها تتفكر

فـى ملكـوت رب العـالمين .. تـرى اللّـه تعـالى وصـفاته فيمـا تـرى مـن موجودات .. تُـفرد اللّـه تعـالى بالـوحدانيـة .. ورسـوله ﷺ بـالحب.. والمؤمنين بالإيثار .. صمتها دائم .. وعبراتها كثيرة بسبب وبدون سبب بكاؤها قريب وضحكها عزيز .. نومها كاليقظة .. ويقظتها تدبر وتفكير باطنى .. فهى مع الناس وليست معهم كثيرة الذهول عما حولها لانشغالها بما هى فيه .. ليست لها فى الدنيا رغبة ولا شهوة إلا ما يساعدها على طاعة اللّه ، متمثلة فى كل شئونها بقوله ﷺ " الدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلا ذكر اللّه وما والاه وعالما متعلما " أى ما يجر إليه ويحبب فيه ويساعد عليه.، يهديها اللّه تعالى بنوره لنوره .. ويضرب لها الأمثال فى اليقظة والنوم ، كثيرة الرؤى فى منامها لأرواح الصالحين والأموات.. تتعلم منهم وتتأثر بهم ، ليس لها لنفسها من نفسها حظ .. يتساوى عندها المدح والذم.. فهى مشغولة بما هو أهم .. آخرتها نصب عينيها .. وموتها قريب منها وآخرتها فى نشر .. ودنياها على العموم فى طى وانكماش، يفيض اللّه عليها بمعانٍ جديدة فى القلب ... ويعلمها ويشرح صدرها لأنوار الذكر ، محبة لتلاوة القرآن والاستماع إليه متذوقة لحلاوة اليقين والإيمان ، خواطرها الظلمانية قليلة وضعيفة لا تتمكن منها ، ينطبق عليها قوله تعالى فى سورة الأعراف :﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ إِذَا مَسَّهُمۡ طَٰٓئِفٞ مِّنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبۡصِرُونَ ﴿٢٠١﴾ ﴾

فالشيطان لا يقربها إلا مساً خفيفا غير متمكن منها ..، بصرها منقدح فى بصيرتها.. تظهر لها أنوار الحقيقة فى الأمور الشرعية.. والحقائق الشرعية فى الأمور الباطنية فتعلم أن اللّه تعالى هو الأول والآخر والظاهر والباطن .. فالغائب عندها حاضر .. والحاضر عندها غائب.. يغلب عليها الحب .. ورقة القلب .. لها نصيب كبير من الذكر وقيام الليل.. وليست لهامع الناس راحة .. قليلة الطعام قليلة المنام قليلة

الكلام..

فالنفس فى هذه الدرجة هى فى أول درجات الأبرار.. وهذا أول منزل من منازل الذكر بالروح .. وليس بالقلب ولا باللسان..

وقد سبق القول بأن عالم الغيب لا يوصف بلسان وكلام لاختلاف مقاييسه عن عالم الإدراك والحس المادى .. فأسرار هذه النفس لا توصف بلسان .. فنمسكُ عن الكلام فى هذه الأسرار .. فإن من يصل إلى هذه المرتبة ليس فى حاجة إلى علم يقرأه منقول هالك عن هالك.. فإن علمه باللَّه تعالى مالك الملك والممالك .. ومن لم يصل إليها لا تنفعه القراءة عنها . وإن قرأ فلن يفهم المقصود من الكلام لاختلاف المقصود منه عن المعنى العام .. وإلا فقل لى بربك ماذا فهمت من قولى إن النفس فى هذه المرحلة حاضرها غائب وغائبها حاضر!!!

إنما أردنا أن نقرب لك المعانى قدر الاستطاعة . واللَّه تعالى هو المصور وهو الذى يصور المعانى أيضا فى الأفهام .. فافهم وتصور !!!

وإذا كانت هذه هى درجة الأبرار أو هى أدنى درجات المقربين.. وأقل درجة من درجات الذكر بالروح فكيف باللَّه تكون الدرجات العالية للنفوس المطمئنة والراضية والمرضية والكاملة.

وإذا كنا نتساءل عن كيفية الذكر باللسان وسريان المعنى على القلب .. وعن كيفية الذكر بالقلب مع اللسان أو بدونه .. فأنىّ نحن من الذكر بالروح .. وبعالم السر وسر السر وغيرها.

ولعلك الآن قد عرفت فضل صحابة رسول اللَّه ﷺالذين كانوا بلا شك من أقرب المقربين إلى اللَّه تعالى .. وهم الأبرار .. وهم أصحاب اليمين.. وكم حملت أرواحهم من أنوار وأسرار وهم بين يدىّ رسول اللَّه حتى كان الصحابى يقول لأخيه قبيل الحرب. إنّى لأجد طعم

الجنة وأشم ريحها . وكانت الملائكة تسلّم على سيدنا عمران بن حصين وكانت تنير الطريق فى الليل أمام سيدنا أسيد بن حضير ويقول سيدنا حذيفة بن اليمان لرسول اللّه : كأنى أرى عرش الرحمن بارزاً .. فلا يكذبه رسول اللّه بل يقول له عرفت فالزم ..

ولعلك أيضا قد أدركت إلى أى مدى قد وصلت إليه حياتنا الروحية.. وتعلقنا بالدنيا وأوهامها .. وكم ابتعدنا عن اللّه تعالى وأنواره وأحكامه وصارت أحكامنا مستمدة مما درج عليه الناس بجهلهم وبعدهم عن اللّه تعالى .. وصارت قدوتنا لرجالنا ونسائنا من يسمونهم بنجوم الفن ووجوه المجتمع.. أى فن باللّه عليك .. وأى مجتمع !!!.

مَر رسول اللّه ﷺ بجيفة منتفخة قد تنتن ريحها.. فقال لأصحابه أيكم يحب أن تكون له هذه بدرهم !! فعجبوا وقالوا ليس منا يارسول اللّه من يود أن تكون له هذه الجيفة لا بدرهم ولا بغير درهم.. فقال ﷺ إن الدنيا لأهون عند اللّه منها !!!.

وفى الحديث الصحيح كما رواه أحمد والطبرانى يقول ﷺ "إن اللّه تعالى جعل ما يخرج من إبن آدم مثلا للدنيا "

لم يكن هناك أيام الصحابة مجار لمخلفات الناس تتجمع فيها الأقذار كما هو اليوم .. فإن أردت أن تعرفَ قدر الدنيا وقيمتها وما يتعارك الناس عليه وما يبيعون آخرتهم لأجله فانظر - أكرمك اللّه - إلى هذه المجارى .. أليست هذه هى شهوة البطن والفرج .. نهايتها كلها المجارى وعفن القبور !!. وانظر إلى نفسك على طعام وتدبر هل تحس بحلاوته وشهوتك إليه بعد أن يتجاوز حلقك!! فإن تجاوز حلقك إلى بطنك تساوى الحلو مع المر .. والخبز واللحم .. وقنعت نفسك بما ملأ بطنك.. فهذا هو نعيم الدنيا ومقدار زمن تنعمك به.. لا يزيد عن مروره فى حلقك !!.

دخل أحد الصالحين على هارون الرشيد رحمة اللَّه عليه.. وكان الرشيد رجلا تقيا باراً مجاهداً يحج عاما ويجاهد فى سبيل اللَّه عاما وليس كما يصوره المغرضون رجل شهوات ونساء وحسبنا اللَّه ونعم الوكيل فيهم. فقال الرشيد للرجل عظنى .. فقال له الرجل يا أمير المؤمنين ما أنت بفاعل إذا حُبِس عنك الماء فى يوم شديد الحر. قال الرشيد أشترى الماء بنصف ملكى .. قال الرجل الصالح وماذا أنت بفاعل إن حُبِسَ فيك الماء !! قال الرشيد أبذل فيها نصف ملكى الآخر. فقال الرجل : أى ملك هذا الذى تبيعه بشربة ماء . فبكى الرشيد حتى ابتلت لحيته .. ولما رجاه الرشيد أن يزوره بين آونة وأخرى قال له الرجل إن عندك فى كتاب اللَّه وشريعته ما يغنيك عن زيارتى .. وإن عندى من انشغالى بآخرتى ما يغنينى عن زيارتك فلا تشغل نفسك ولا تشغلنى بما لا يفيد ...

وصدق رسول اللَّه ﷺ " إن الدنيا لو كانت تساوى عند اللَّه جناح بعوضة ما سقى الكافر منها شربة ماء" .. ولكن اللَّه تعالى قد استخلفكم فيها لينظر كيف تعملون والإنسان ظلوم جهول .. ظلوم لنفسه فيوردها موارد التهلكة فى الآخرة بشهوات الدنيا الفانية جهول بفضل ربه ونعمه عليه .. وإن أظلم الظالمين من ظلم نفسه ... وطوبى لمن أعتق نفسه من النار .. وهذبها وأصلحها مستعينا باللَّه ..

وقد علمنا شرع اللَّه تعالى أن النفس بطبيعتها تتعامل مع جهات ثلاث هى قنوات معاملاتها .. مع اللَّه تعالى .. ومع خلق اللَّه .. ومع نفسها ... فيجب أن يُهذب خلقها فى كل هذه المعاملات.

فصفاتها مع اللَّه تعالى مثل الصدق والكذب والإخلاص والرياء والرضا والجزع ..

وصفاتها مع خلق اللَّه مثل الحب فى اللَّه والنصح للمسلمين

والتعاون على البر والتقوى وما هو ضدها من الصفات الذميمة ..

وصفاتها مع نفسها مثل الكبر والعجب والغضب وحب الجاه وما هو ضدها من الصفات الحميدة ..

ونوجز لك تعريفا مبسطا موجزا لأخطر الصفات الذميمة والصفات الحميدة فى النفس.

* * *

- الصفات الذميمة فى النفس :

١- التبذير والإسراف :

وهو تجاوز حد الاعتدال بلا ضرورة .. والتبذير يكون فى المال والإسراف فى الأعمال .. يقول تعالى فى سورة الإسراء:﴿ إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓاْ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ ۖ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا ﴿٢٧﴾ ﴾

ويقول فى الأعراف-٣١:﴿ ... وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ وَلَا تُسْرِفُوٓاْ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾ ﴾

فالإسراف غير محمود حتى فى الأمور الحلال .. فكيف يكون فى الأمور المحرّمة !!. واعلم أنك لو أنفقت مائة ألف درهم فى مكانها الصحيح الشرعى فأنت لست مبذرا ، ولكنك لو أنفقت درهما واحدا فى غير مكانه أو دون ضرورة فإنك تحاسب عليه . ، فالمقصود أن تضع كل أمر فى مكانه الصحيح ..

والإسراف فى شهوات الدنيا الحلال كالطعام والشراب والملبس وشهوة الفرج يصيب النفس بالإظلام والابتعاد عن الشفافية .. ويجعلها عبدا لشهواتها .. يقول ﷺ"ما ملأ ابن آدم وعاء شرا من بطنه .. بحسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه .. فإن كان ولابد فاعلا .. فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه .. " فيحدد ﷺ حد الاعتدال فى الطعام بأنه لقيمات على قدر الضرورة فإن زادت فلا تتعدى ثلث البطن امتلاءً.. كما يقول ﷺ إن الشيطان يجرى فى ابن آدم مجرى الدم فى العروق فلنضيق عليه بالجوع.

والتربية الإسلامية كلها قائمة على حد الاعتدال فى تناول

الشهوات الحلال .. وذلك حتى لا تكون النفس أسيرة لشهواتها .. ومن أسرف فى الأكل والشهوات .. أسرف فى النوم .. ومن أسرف فى النوم يفوته حظ كبر من العبادة والذكر ..

٢- الغضب :

وهو فوران الدم فى القلب وشدة اندفاعه إلى الرأس وأعضاء الجسد والمقصود به الغضب لحظ من حظوظ نفسك .. أما الغضب للّه تعالى فهو محمود.

والغضب قوة فى النفس يزكيها الشيطان حتى يخرج المرء عن وعيه.. يقول ﷺ " ليس الشديد هو الشديد بالصرعة .. ولكن الشديد الذى يملك نفسه عند الغضب ".. فالغضب قد يكون مدعاة لأن يفقد الإنسان رشده فيأتى بتصرف قد يندم عليه فيما بعد .. وغضبت السيدة عائشة رضى اللّه تعالىعنها مرة فقال لها رسول اللّه ﷺ " جاء شيطانك.." فقالت وأنت مالك شيطان يا رسول اللّه .. فقال بلى ولكن اللّه أعاننى عليه فأسلم فلا يأمرنى إلا بخير.

ومن السنة أن المرء إذا غضب وكان واقفا أن يجلس .. وإن كان جالساً يضطجع وأن يتوضأ أو يغتسل حسبما يتيسر له وأن يستعيذ اللّه تعالى لإطفاء نار الغضب .. ويمدح اللّه تعالى الكاظمين غيظهم بقوله فى سورة آل عمران:﴿ ۞ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ ﴾

وتدل الآية على درجات ثلاث .. الأولى كظم الغيظ فى النفس.. والثانية العفو عمن أساء إليك ... والثالثة وهى أعلاها الإحسان إلى من أساء إليك ..

ويحكى أن عبدا كان يصب الماء من إبريق لوضوء سيده جعفر الصادق بن على زين العابدين بن الحسين بن على عليهم رضوان اللّه تعالى.. فسقط الإبريق من العبد فانكسرت أنف سيدنا جعفر وسالت دماؤه على وجهه .. فارتعد العبد ولم يجد ما يقوله غير "والكاظمين الغيظ" فقال سيدنا جعفر كظمت غيظى فقال العبد "والعافين عن الناس" فقال عفوت عنك .. فقال العبد "واللّه يحب المحسنين" فقال سيدنا جعفر اذهب فأنت حر ويقول ﷺ "ما ازداد عبدٌ بعفوٍ إلا عزّا " ؟

فالغضب وشدته من الصفات المذمومة فى النفس.وعاقبته غير محمودة عادة.

٣- الكبر :

هو توهّم العظمة فى النفس والاستعلاء على خلق اللّه تعالى .. وهو من أرذل الصفات . فاللّه تعالى هو المتكبر ويقول فى الحديث القدسى " الكبرياء ردائى والعظمة إزارى فمن نازعنى واحدا منهما قذفته فى النار " ويقول تعالى (غافر-٣٥): ﴿... كَذَٰلِكَ يَطۡبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلۡبِ مُتَكَبِّرٖ جَبَّارٖ ٣٥﴾ ، ويقول فىالسورة نفسها (الآية-٥٦):

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ سُلۡطَٰنٍ أَتَىٰهُمۡ إِن فِي صُدُورِهِمۡ إِلَّا كِبۡرٞ مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِۚ ...﴾

فهذه العظمة المتوهمة فى النفس هى نتيجة لجهلها وعدم تبصرها

فى ملكوت السموات والأرض .. وأين ابن آدم وأوله نطفة قذرة . وآخره جيفة قذرة .. وهو بين ذلك يحمل العذرة .. فعلام يتكبر.

يقول سيدنا أبو بكر الصديق وهو على فراش الموت " كفنونى فى ثيابى هذه وليس فى جديد !! " فقالوا يا خليفة رسول اللَّه أنكفنك فى ثياب قديمة .. فقال رضى اللَّه عنه : إن هو إلا للمرملاء .. (أى للصديد والقيح) وهذا هو أبو بكر الصديق صاحب رسول اللَّه ﷺ !!.

وكان عمر بن الخطاب يحمل السويق والسمن على رأسه للنساء والصبيان والمحتاجين ويهيئ لهم الطعام وينفخ فى النار فتسيل دموعه على لحيته .. ولقد كان أسوتهم فى هذا هو رسول اللَّه ﷺ الذى كان يأكل مع العبد فى إناء واحد .. ولا يأكل متكئا ويقول إنما أنا عبد.. أجلس مثلما يجلس العبد وآكل مثلما يأكل العبد ..

فالكبر من أوسع أبواب الشر إلى النفس ومنه ينبع الإلحاد والجحوم والجدل والخصام حتى يورث الكفر والعياذ باللَّه..

٤- العُجب :

وهو إعجاب المرء بنفسه وسببه الكبر فى النفس بتوهم كمال من علم أو صفة أو عمل . سواء بصفاته أو بافعاله وهو قريب من الكبر..

والمؤمن لا يعجب بنفسه أبدا .. بل هو دائما يراها مقصرة .. متهمة .. وأنها أقل عباد اللَّه طاعة وعبادة وذكرا للَّه. ولا يرى لنفسه من أعمال الخير شيئا بل يرى الفضل كله من اللَّه فهو الهادى للحسنات والموفق لها .. يقول تعالى فى سورة الحجرات : ﴿ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُواْ ۖ قُل لَّا تَمُنُّواْ عَلَيَّ إِسْلَٰمَكُم ۖ بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ

لِلۡإِيمَـٰنِ إِن كُنتُمۡ صَـٰدِقِينَ ﴿١٧﴾ »، فالمنة والفضل للّه تعالى فأى عُجْبٍ يكـون للـنفس.. لـذلك يقـول ﷺ"ثلاثـة مهلكـات .. هـوى متبـع .. وشـح مطاع وإعجاب المرء بنفسه "

٥- الرياء :

وهو أن يطلب بقلبه رؤية الناس لأعماله.

ومنه ظاهر يدعوه إلى زيادة العبادة ليراه الناس ومنه باطن وهو حب رؤية الناس لعمله ليقال عالم أو كريم مثلا ، والرياء يحبط العمل ويضيع ثوابه ، يقول اللّـه تعالى فى الحديث القدسى " أنا أغنى الأغنياء عن الشرك فمن عمل عملا يقصد به وجه اللّه والناس فهو للناس من دون اللّه" ويروى الطبرانى عن سيدنا معاذ قول رسول اللّه ﷺ "أدنى الرياء الشرك "

وقياس الرياء يكون بازدياد طاعة المرء أمام الناس بخلاف بعده عنهم.. وكذلك فرحه بالمدح والثناء عليه فيزيده ذلك عملا ومظهرا صالحا.

٦- النفاق :

وهو إظهار خلاف ما يبطن فيظهر الصلاح أمام الناس ويتقن العبادة أمامهم.. فإذا كان بعيدا عنهم فلا صلاح ولا عبادة ، أو يظهر الإيمان ويبطن الكفر .. ، والنفاق اشد من الكفر عند اللّـه ، لأن الكافر ظاهره كباطنه يستطيع المسلمون أن يتقوه ويحترسوا منه ، أما المنافق

فضرره أكبر لأن فيه الخداع والغش والمكر يقول ﷺ " أربع من كنّ فيه كان منافقاً خالصا .. ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها : إذا حدث كذب .. وإذا عاهد غدر .. وإذا ائتمن خان .. وإذا خاصم فجر " ..

وباختصار النفاق هو إظهار خلاف ما في الباطن ..

٧- الغدر :

وهو نقض العهد وعدم الوفاء بما ألزم به نفسه أمام اللَّه أو الناس.. يقول تعالى (الإسراء-٣٤):﴿ ...وَأَوْفُوا۟ بِٱلْعَهْدِ ۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا ﴿٣٤﴾ ﴾

ويقول ﷺ عن آيات المنافق إن منها إذا عاهد غدر .. فلا عهد له ولا ذمة .. وهو شعبة من شعب النفاق.

ولاحظ أن أول عهد أُخذ عليك كان من رب العالمين في عالم الأرواح كما سبق ذكره ، وقال اللَّه للأرواح ألست بربكم قالوا بلى لذلك فالكافر قد نقض العهد وغدر ، والمؤمن الفاسق يكون غدره على قدر فسقه فافهم ..

٨- الخداع :

وهو أن يضمر في نفسه غير ما يقول .. وهو قريب من الغدر.. يقول تعالى في سورة البقرة :﴿ يُخَـٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَمَا

يَخۡدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡ وَمَا يَشۡعُرُونَ ﴿٩﴾ ﴾والمخادع صاحب تمويه وتورية وكذب .

٩ - الكذب :

وأدناه قول غير الحقيقة .. وهو كذب الأقوال.. وأعلاه النفاق وهو كذب القلب أو كذب الأفعال .. يقول ﷺ " إياكم والكذب فإن الكذب يهدى إلى الفجور وإن الفجور يهدى إلى النار ولا يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند اللَّه كذابا.. " فانظر كيف يؤدى الكذب إلى الفجور ثم إلى النار.. ويقول تعالى فى سورة التوبة:﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾ ﴾،

ويقول فى سورة البقرة – ١٧٧ : ﴿ ... أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْۖ وَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ ﴾،

ويقول فى سورة الأحزاب– ٢٣ : ﴿ مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَـٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيۡهِۖ فَمِنۡهُم مَّن قَضَىٰ نَحۡبَهُۥ وَمِنۡهُم مَّن يَنتَظِرُۖ وَمَا بَدَّلُواْ تَبۡدِيلاً ﴿٢٣﴾ ﴾ ، فالصدق يجب أن يكون فى الأقوال والأفعال كذلك وهو أن يكون باطنها كظاهرها.

والكذب ضده فى الأقوال والأفعال والكذب هو تغيير الحقيقة بأى أسلوب.. وبأية نسبة من التغيير .. فالكذب هو الكذب بأى مقياس.. فحتى الطُرْفَة (النكتة) تُعدُّ كما يقولون من الكذب .. أما رسول اللَّهﷺ.. فقد كان يمزح ولكن لا يقول إلا حقا ..

ولم يصرح الرسول بالكذب إلا فى ثلاثة مواضع .. فى حديث الرجل امرأته .. جبرا لخاطرها وإبقاءً على ذات البين..وليس لسبب آخر. وهذا أمر دقيق فليس كل كذب بين المرء وزوجه مباحاً .. وهذا أمر يطول شرحه.. ، وفى الحرب ، والكذب على الأعداء لأنه فى سبيل اللّه ونصرة دينه فالنية فيه إلى اللّه تعالى..، وفى حالة الإصلاح بين الناس فلا مانع أن يُنَمِّى المصلُح خيراً إلى هذا وإلى ذاك قاصدا تقريب المتخاصمين للّه تعالى..

ورغم هذا فإن الأفضل للمسلم ألا يلجأ إلى الكذب وله فى التعريض منجاة عنه .. ، والتعريض هو أن تعرّض بالمعنى المراد دون ذكره صراحة .. فإن جاء من يسال عنك فى المنزل مثلا وأنت لا تسمح ظروفك بمقابلته لضيق المنزل أو لأى سبب فالأفضل أن يقال للطارق "قابله فى المسجد"

مثلا.. ولا يقال له إنك غير موجود فيكون القائل حينئذ قد عرَض بالمعنى المراد وهو أنك لا تريد مقابلته فى المنزل دون أن يعلن هذا.. ولم يكذب فيقول إنك غيرموجود فى المنزل..

١٠ - الغرور:

وهو من أكبر أبواب السوء فى النفس .. وهو توهم قيمة أعلى من الحقيقة أو توهم الشئ على غير حقيقته وهو قريب من العُجب .. وهو السبيل إلى التكبر .. وقد سمى اللّه الشيطان بالغَرور لأنه توهم فى نفسه قيمة أعلى من سيدنا آدم عليه السلام وكذلك أنه يغّر الناس بالدنيا ويزينها لهم كذبا وبهتانا حتى يضلهم ..، وما الحياة الدنيا إلا متاع الغُرور . لأنها زينة باطلة .. وشهوة بائدة كالسراب ..

١١- الحسد:

وهو تمنى زوال نعمة الغير .. والحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار فى الحطب .. ويعلمنا القرآن الكريم كيفية الاستعاذة من شر حاسد إذا حسد .. وأساس الحسد هو الحقد ، والحقد هو إخفاء العداوة فى القلب لعدم القدرة على الانتقام .. وكذلك أساسه البغض والكراهية.. فإن من يحب شخصا يتمنى له الخير .. أما من يبغضه فيتمنى زوال نعمته.. وهو مرض فى النفس خبيث .. وأساسه الاعتراض على توزيع اللَّه تعالى لنعمه ورزق عباده .. فهو عدم الرضا بالقضاء أصلا مع عدم حب الناس .. وهو لا يغير من قضاء اللَّه شيئا إلا بإذن اللَّه ولا يجرّ إلا التعب والهمّ والنكد على صاحبه قبل المحسود.

١٢- الشح والبخل:

وهما ضد الإسراف والتبذير .. فالشح هو بخل النفس بأوجه الخير عموما .. فلا يسعى فى قضاء مصلحة لمسلم .. ولا يبذل جهدا فى عبادة.. أما البخل فهو إمساك المال حتى عن الضرورات وما يجلب له الفوائد..
يقول تعالى (النساء-١٢٨) : ﴿ ... وَأُحۡضِرَتِ ٱلۡأَنفُسُ ٱلشُّحَّۚ ... ﴾

ويقول فى سورة الحشر-٩ :﴿ ... وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفۡسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴿٩﴾ ﴾

ويقول: ﴿ هَٰٓأَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ تُدۡعَوۡنَ لِتُنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ

فَمِنكُم مَّن يَبۡخَلُۖ وَمَن يَبۡخَلۡ فَإِنَّمَا يَبۡخَلُ عَن نَّفۡسِهِۦۚ وَٱللَّهُ ٱلۡغَنِيُّ وَأَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُۚ ... ﴾(محمد-٣٨)

ويقول فى سورة الأحزاب-١٩: ﴿ ... أَشِحَّةً عَلَى ٱلۡخَيۡرِۚ ﴾

فالشح كما قلنا هو شح النفس عن الخيرات .. والبخل هو البخل بالمال وسبب الشح والبخل هو عدم الثقة بالله تعالى .. فالنفس بطبيعتها الحيوانية جزعة منوعة يقول تعالى فى سورة المعارج:﴿ ۞ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلۡخَيۡرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾ إِلَّا ٱلۡمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾ ﴾

وليس من البخل أو الشح أن تحافظ على نعم الله تعالى وإن قَلَّت وصَغُرَت .. فقد كان ﷺ يُجلّ النعمة وإن دَقَّتْ.

والمقصود من عدم الشح وعدم التبذير هو أن تضع كل نعمة فى مكانها الصحيح فإن الله يحب أن يرى أثر نعمته على عباده كما قال ﷺ وألا تأخذ من النعم إلا على قدر كفايتك ، وخير الأمور الوسط، ألا ترى إلى قوله تعالى فى سورة البقرة-١٩٥:﴿ وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلۡقُواْ بِأَيۡدِيكُمۡ إِلَى ٱلتَّهۡلُكَةِ وَأَحۡسِنُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٩٥﴾ ﴾

اى لا تبخلوا فى الإنفاق فى سبيل الله فتلقوا بأيديكم إلى التهلكة فى الآخرة بالشح والتقتير ..

١٣- الغيبة :

وهى ذكر أخيك بما يكرهه من صفات هى فيه..

يقول ﷺ الغيبة هى ذكرك أخاك بما يكره .. قيل يا رسول اللّه أرأيت إن كان فيه ما أقول. قال ﷺ إن لم يكن فيه فقد بَهَتَّهُ .. أى قد افتريت عليه بهتانا وزورا وهذا إثم أشد من الغيبة .. وهذه الصفة من أشد صفات النفس سوءا ..

يقول تعالى(الحجرات-١٢): ﴿ ... وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ۚ ... ﴾..

فالغائب كالميت لا يستطيع أن يدافع عن نفسه ولا أن يأخذ حقه منك وأنت تأكل لحمه لأنك تنتقص من قدره بوصفه بما يكره فتكشف عنه ستر اللّه تعالى وعن ما فيه من عيوب .. وقد رأى سيدنا عثمان بن عفان رضى اللّه عنه أثر أكل لحم الميت على فم من يغتاب الناس،.. وقد دخل رسول اللّه ﷺ على امرأتين وأمر بطست وقال لهما " قيئا " فقائتا دما وقيحا ولحما خبيصا .. فقال ﷺ.. جلست إحداهما إلى الأخرى تغتاب الناس.

فأنت مطالب أيها المسلم بأن تتقى اللّه فى إخوانك فلا تتحدث عنهم بما يؤذيهم أو بما يكرهون.

واعلم أن الغيبة نوعان .. وكلاهم إثم .. الغيبة الصريحة وهى ما ذكرنا .. والغيبة المكّناة .. وهى الا تقول قولا صريحا ولكنك تُوحى بالمعنى السيئ المقصود . كأن يسألك سائل عن شخص ما فتقول له "إنه بخير .. سامحه اللّه .. أستغفر اللّه العظيم مالنا ومال الناس" .. فأنت لم

تقل شيئا سيئا صريحا .. ولكنك قد أوحيت لسامعك بأن ثمة شيئا سيئا فيمن يسأل عنه .. واللّه تعالى ينظر إلى قلوبكم والأعمال بالنيات ..

أما البهتان والعياذ باللّه فهو ادعاؤك على امرئ بما ليس فيه.. ومتروك لك تقدير وزر الزور والبهتان على الذى تفتريه عليه والإثم من وراء ذلك، فإذا كان جزاء الغيبة عند اللّه تعالى هو أن يأخذ من اغتبته من حسناتك إلى حسناته حتى تنتهى ثم تأخذ أنت من سيئاته إلى سيئاتك .. فماذا يكون جزاء البهتان والافتراء عليه!!!.

١٤- النميمة :

وهى نقل كلام يُكره نقله من شخص إلى شخص .. كرهه من نقل عنه أو من نقل إليه أو مستمع لهما .. ويدخل فيها كشف السر لمن ائتمنك عليه .. أو من علمت عنه سرا يكره هو أن يطلع عليه أحداً.. فهى كل كلام منقول لهتك ستر أو انتقاص قدر أو لإشعال فتنة.

يقول اللّه تعالى فى سورة القلم :﴿ هَمَّازٍ مَّشَّآءِۭ بِنَمِيمٍ ﴿١١﴾ مَّنَّاعٍ لِّلۡخَيۡرِ مُعۡتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾ عُتُلِّۭ بَعۡدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ ﴿١٣﴾ ﴾ ، وقيل أن كل نمام هو ولد زنا استشهاداً بالآية السابقة لأن الزنيم هو ولد الزنا .. ويقول ﷺ "لا يدخل الجنة نمّام " وقال رسول اللّه " ألا أنبئتكم بشراركم. قالوا بلى يا رسول اللّه .. قال المشاءون بالنميمة ، المفسدون بين الأحبة.، الباغون للبرئ من العيب " ،

فنقل الحديث من شخص إلى شخص مرفوض أساساً إلا بحقه الشرعى وقصد وجه اللّه تعالى فيه وبشروط شرعية .. ومطلق ناقل الحديث فاسق.. يقول تعالى (الحجرات-٦) : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن

جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ ... ﴾.

فإذا كان الحديث المنقول فيه زيادة ونقص وتغيير كلام قد يؤدى إلى تغيير المعنى .. فقد اضيف على النميمة بهتان وزور .. فإن أدى هذا الحديث إلى قطع رحم أو تفريق أحبة فى اللَّه أو أمر سوء آخر.. فقد تَحَمَّل الناقل كل هذه الأوزار ولا حول ولا قوة إلا باللَّه..

وصدق رسول اللَّه ﷺ إذ يقول لسيدنا معاذ " ثكلتك أمك يا معاذ وهل يكب الناس على وجوههم. أو على مناخرهم فى النار إلا حصائد السنتهم" !!

وكان رسول اللَّه ﷺ يأبى أن يستمع لأصحابه على أصحابه وكان يقول لهم دعونى وأصحابى .. فإنى أحب أن أخرج إليهم نقى الصدر أو كما قال ﷺ .. والكلام فى النميمة طويل لأن الناس اصبحوا يسّمون المنكرات بغير أسمائها فيسعون بالنميمة بين الناس ويفسدون بينهم بدعاوٍ باطلة أو جهلٍ مؤذٍ .. واللَّه حسبهم ..

١٥- حب الجاه والرئاسة :

وهو داء وّبيلٌ فى النفس .. وخطورته أنه قد يكون خفياً ولا يتنبه إليه المرء .. فيتغلف بمسميات أخرى .. وقد يظن المسلم أنه يدعو الناس إلى الخير وعلى صلاح أحوالهم .. بينما يكمن فى نفسه حب الجاه والرئاسة عليهم .. لذلك قيل إن آخر صفة ذميمة تخرج من نفوس الصالحين هى حب الجاه والرئاسة ..

وأساسه وأصله بعض الكبر والغرور فى النفس وإعجاب المرء بنفسه لذلك فهو يظن أنه أولى بالرئاسة والريادة وطاعة الناس له .. وهذا قاطع

كبير عند اللّه تعالى ، ودواؤه محاسبة النفس على الدوام ومعرفة عيوبها، وإحسان الظن بالناس والإقبال على اللّه وعدم الالتفات إلى غيره..، يقول تعالى فى سورة المائدة-٥٤: ﴿ ... فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ يُجَـٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾ ﴾، **فخَفض الجناح للمؤمنين وعدم الترفع عليهم من صفات المؤمنين .. وليس طلب الجاه وحب الرئاسة عليهم ..**

١٦- الجدل والمكابرة :

والجدل هو الدفاع بالباطل والانتصار للنفس أو الراى..، والمكابرة هى معرفة الحق ثم الحيود عنه كبرا وعنادا. يقول تعالى (الكهف-٥٤): ﴿ ... وَكَانَ ٱلْإِنسَـٰنُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا ﴿٥٤﴾ ﴾

ويقول فى سورة الأنفال: ﴿ يُجَـٰدِلُونَكَ فِي ٱلْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى ٱلْمَوْتِ وَهُمْ يَنظُرُونَ ﴿٦﴾ ﴾

والمؤمن ناظر على الحق .. يبحث عن الصواب . فإن أخطأ اعترف واستغفر ولا يجادل ولا يكابر.

يقول ﷺ " أنا زعيم ببيت فى ربض الجنة لمن ترك المراء وإن كان مُحقا . ، وبيت فى وسط الجنة لمن ترك الكذب وإن كان مازحاً "

١٧- الظلم :

وهو عدم منح كل ذى حق حقه ..

فاللّه تعالى قد شرع لكل شئ حقاً فلربك عليك حق .. ولأهلك عليك حق .. ولنفسك عليك حق .. فالظلم هو ألا يأخذ كل صاحب حق حقه يقول تعالى (الأنعام-٨٢):﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ ، ويقول عن يوم القيامة: ﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ ...﴾ (الفرقان-٢٧) ، ويقول:﴿ ... وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١١٨﴾ ﴾ (النحل-١١٨)وظلم النفس هو حرمانها من نور الهداية والطاعة فيدخلها ذلك النار.

١٨- الاستهانة بحرمات اللّه وشعائره:

وهذا خطر كبير يدل على نفاق فى القلب ورياء فى النفس.. والمقصود هو عدم احترام حرمات اللّه وشعائر دينه والوقوف عندها.

يقول تعالى فى سورة الحج:﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾ ﴾

ويقول (الحج-٣٠):﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ ... ﴾ فالمؤمن عليه أن يعظم هذه الشعائر .. ألا ترى على أن المفطر فى رمضان لمرض أو سفر أو أى عذر شرعى يجب عليه عدم الإعلان بإفطاره احتراما لشهر رمضان المعظم.

*   *   *

هذه جملة صفات حذرنا اللَّه ورسوله منها . وهى كما ترى منشؤها وأصلها حب الدنيا والاغترار بها .. وتغيير هذه الصفات صعب كل الصعوبة إذا حاولت أن تقتلعها ..لأن أصلها ثابت فى نفسك وهو حب الدنيا. فالحصيف من يعالج الداء من أصله فيقتلع حب الدنيا من قلبه أولا ويتجافى عن الغرور ويتجه على اللَّه قاصدا وجهه فحينئذ يهون عليه اقتلاع هذه الصفات خاصة وإن بعضها مركب على البعض الآخر .. فالغرور مثلا يورث الكبر .. والكبر يورث حب الجاه وحب الجاه يورث الجدل والجدل يورث الكذب .. وهكذا ..

ونمثل كل الأمر بشجرة خبيثة .. فروعها هى هذه الصفات .. فكلما اقتلعت منها فرعا . نبت فيها غيره . فأنت فى جهاد مستمر باقتلاع الأغصان واحدا بعد واحد . لأن جذر الشجرة يغذيها فينبت غيره .. أما إذا انشغلت بقطع الشجرة من أساسها وجذورها فقد أرحت نفسك مرة واحدة .. واللَّه هو المستعان وبه تتم الصالحات ولا توفيق إلا به سبحانه .. بقى أن نوجز لك أهم الصفات الحميدة التى أمرنا اللَّه ورسوله بالاتصاف بها .. وهى أضداد الصفات الذميمة التى ذكرت من قبل ثم نزيد عليها صفات خاصة بنفوس المؤمنين ..

وأهم هذه الصفات ما يلى:-

• الصفات الحميدة للنفس:

١ – الكرم :

وهو سماحة الأخلاق وبذل المال للمحتاج وبذل النفس للخير والطاعات .. وهو الدرجة الوسطى المحمودة بين الإسراف والشح.. واللّه تعالى هو الكريم ويحب الكريم من عباده.

والكرم درجات .. فأدناه أن تعطى من سألك ما زاد عن نفقتك .. يقول تعالى فى سورة البقرة-٢١٩: ﴿... وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلْعَفْوَ ....﴾**.. أى ما عفوت عنه بعد سد حاجتك .**

وأوسط الكرم أن تعطى المحتاج مما أنت محتاج إليه فعلا .. يقول تعالى فى سورة آل عمران-٩٢:﴿ لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ ﴾

ويقول فى سورة الحشر-٩ : ﴿... وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ....﴾ **(والخصاصة هى شدة الاحتياج) فأنت فى هذه الرتبة تعطى المحتاج وأنت محتاج .. وتضيق على نفسك وتتنازل عن جزء من التوسعة على عيالك فى سبيل إكرام المحتاج والمعوز .. ،**

وأعلى مرتبة فى الكرم هى أن يكون كل مالك للّه تعالى .. فلا تنفق منه إلا فى سبيل اللّه قاصدا وجه اللّه تعالى تاركا لفضول الحلال، فإن أكلت أكلت ما يكفيك وليس ما تشتهيه نفسك ، وإن لبست لبست ما يسترك أمام الناس تحدثا بنعمة اللّه ، لا ما تتباهى به على عباد اللّه،

وهكذا فى كل أحوالك ، يقول تعالى فى سورة القصص-٧٧:﴿ وَٱبۡتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنۡيَاۖ وَأَحۡسِن كَمَآ أَحۡسَنَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ وَلَا تَبۡغِ ٱلۡفَسَادَ فِي ٱلۡأَرۡضِۖ ... ﴾

فكل ما آتاك اللَّه اجعله فى سبيل اللَّه .. ولا تنس نصيبك من الدنيا أى من فعل الصالحات التى تنفعك فى الآخرة لأن الدنيا مزرعة للآخرة ونصيبك منها هو ما قدمته للآخرة .. وأحسن كما أحسن اللَّه إليك من كل نعمة أحْسنْ منها ومن جنسها المال .. والعلم .. والصحة للَّه تعالى .. ولا تبغ الفساد فى الأرض بأن تخسر الميزان .. ميزان الاعتدال والشرع.

يقول تعالى فى سورة النحل-٩٦:﴿ مَا عِندَكُمۡ يَنفَدُۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍۗ...﴾

ويقول ﷺ " الصدقة تُطْفِئ غضب الربِّ كما يطفئ الماء النار.. وصلة الرحم تزيد فى العمر " وما أكثر الآيات والأحاديث الداعية إلى الإنفاق فى سبيل اللَّه ..

ويكفى قول رسوله ﷺفيما رواه الترمذى عن أبى هريرة "أن السخىّ قريب من اللَّه قريب من الناس قريب من الجنة ".

وكل مسلم عليه أن يأخذ من هذه الدرجات ما يناسبه .. فلا يسرف ولا يقتر .. فقد كان أبو بكر الصديق رضى اللَّه عنه يقدم كل ماله للَّه ولرسول اللَّه فيقبله منه، وكان عمر بن الخطاب يقدم نصف ماله فيقبله منه ، بينما لم يقبل رسول اللَّه من بعض صحابته إلا ثلث ماله فقط ، فكلٌ يعمل على شاكلته.. فانظر أنت أين درجة إيمانك من درجات الإنفاق .. ثم بعد ذلك أنت محاسب عليها..

ولا يخفى ما فى الكرم من تفريج هم المحتاجين . وستر عورات المسلمين .. والرسول ﷺ يقول " من فرج عن مؤمن كربة من كُرَبِ الدنيا فرج اللَّه عنه كربة من كربات يوم القيامة ومن ستر مسلما ستره اللَّه فى الدنيا والآخرة " واعلم أنه مكتوب على باب الجنة أن الحسنة بعشر والقرض بثمانية عشرة . ذلك لأن السائل قد يسأل ومعه بعض ما يكفيه، أما المقترض فلا يسأل إلا إذا كان احتياجه شديداً..

أما الكرم فى النفس فهو سماحتها ، والإحسان والعفو والتجاوز عن الذنب والتغاضى عن العيب.

٢ – الحلم والعفو :

وهما من سماحة النفس وكرمها .. وكذلك هما ضد الغضب .. أما الحلم فهو الصبر على الأذى وطول الأناة وضبط النفس عند الغضب، وأما العفو فهو التجاوز عن الإساءة والصفح الجميل، وهما لا يكونان إلا مع مقدرتك على من أغضبك أو أساء إليك، واللَّه تعالى هو الحليم العفوّ.. فلا يعجل لعباده العقوبة عسى أن يتوبوا.. فإن تابوا عفا عنهم وبدل سيئاتهم حسنات فضلا منه وكرما، ويقول تعالى : ﴿ ... فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۚ ....﴾ (الشورى –٤٠)

ويقول فى سورة النور–٢٢:﴿ وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُوٓاْۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْۗ ... ﴾

ومن مأثور دعاء رسول اللَّه ﷺ : اللَّهم إنك عفوّ كريم تحب العفو فاعف عنا.. ، وكان يعلمها للسيدة عائشة رضى اللَّه عنها عندما سألته بماذا

تدعو فى ليلة القدر ..، ويقول ﷺ "ما ازداد عبد بعفوٍ إلا عِزاً ".

ومن تجاوز عن سيئات الناس فى الدنيا تجاوز اللّه عن سيئاته يوم القيامة.

٣ – الإخلاص :

وهو صدق توجه النية إلى اللّه تعالى مع حسن إتقان العمل، فيكون المؤمن علانيته كسره وسره كعلانيته ، لا ينافق ولا يكذب ولا يرائى...،

يقول تعالى فى الحديث القدسى " الإخلاص سر من أسرارى أودعته قلب من أحببت من عبادى"،.

وهو الباب الأكبر والأعظم للخيرات كلها حتى وإن قلّ العمل..، وهو ثمرة اليقين باللّه تعالى .. ، وهو ميزان الأعمال يوم القيامة فعلى قدر الإخلاص يكون الثواب بإذن اللّه.

يقول تعالى فى سورة النساء-١٤٦:﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصۡلَحُواْ وَٱعۡتَصَمُواْ بِٱللَّهِ وَأَخۡلَصُواْ دِينَهُمۡ لِلَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ ... ﴾

ويقول فى سورة الزمر-٣:﴿ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلۡخَالِصُۚ ... ﴾

ولا يكون الإخلاص إلا إذا حجبت الناس عن عينك ولم تر إلا اللّه.. وقد قيل إن الإخلاص هو عدم رؤية الإخلاص ، أى أن المخلص فى الحقيقة لا يرى نفسه مخلصا بل هو دائم الاتهام لنفسه ، ودرجات الإخلاص لا نهاية لها .. وأمراضه وعللّه كثيرة .. ، والشرك الأصغر هو عدم الإخلاص الكامل.. ويحذرنا ﷺفيقول " اتقوا الشرك الأصغر" ويقول

"إن الشرك ليسرى إلى القلب مثل دبيب النملة السوداء فى الليلة الظلماء على الصخرة الصماء" ..

٤ – الصدق :

وهو ضد الكذب كما تعلم .. وهو صدق فى النية .. وصدق فى الأقوال وصدق فى الأفعال ، يقول ﷺ "إن الصدق يهدى إلى البر .. وإن البر يهدى إلى الجنة .. ولا يزال الرجل يصدق ويتحرّى الصدق حتى يكتب عند اللّه صدّيقا".

وقوله ﷺ "يتحرى الصدق هو غير يقول الصدق.. فالقول باللسان.. أما التحرى فيكون فى كل شئ من النية إلى الفعل..، فالصدق من الإخلاص.. وقد أشرنا إليه عند كلامنا عن الكذب..

٥ – الحب فى اللّه :

وهو ضد الحسد والحقد والغيبة والنميمة .. فلا تجتمع مع الحب فى اللّه فى قلب مؤمن .. فالمحب حريص على من يحبه حاضرا غائبا ، وفضل هذه الصفة لا يوصف .. وقد جعل اللّه تعالى حب العبد له أعلى درجة فى العبادة فقال تعالى فى سورة المائدة–٥٤: ﴿... بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ ﴾ وقال يصف المؤمنين فى سورة البقرة – ١٦٥:﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ ﴾ وقال يصف الأنصار فى سورة الحشر–٩: ﴿ ... يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ ...﴾ فحب اللّه ورسوله فرض وحب آل بيته وصحابته فرض .. وحب

المؤمن فرض ..

واعلم أن القلب الملئ بالحب هو قلب ودود .. رحيم .. رقيق .. عفوّ .. كريم يجبر خواطر المنكسرين .. ويعفو عن المخطئين .. ويتجاوز عن المسيئين .. وقد سبق القول بأن القلوب المحبة تسقى بعضها بعضا .. ومن أحب مؤمنا أظلهما اللّه تعالى تحت ظله يوم القيامة .. ، ودعاء المؤمن لأخيه بظهر الغيب مستجاب ويقول الملك ولك مثل ذلك.

ومن أحب اللّه ورسوله فقد نال الدرجات العليا ، واستأنس بحب رسول اللّه ﷺ.. واستنار بنور قلبه الأقدس ..، والمرء مع من أحب يوم القيامة ومن أحب لقاء اللّه أحب اللّه لقاءه .. وكشف له أسراره .. وتولاه بعنايته ..

٦ - الفُتُّوة :

وهى أخذ النفس بالعزم والقوة فى الطاعات .. وسرعة النجدة لمن استجار بك فى اللّه.. يقول تعالىفى سورة الكهف-١٣ : ﴿ ... إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُواْ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى ﴿١٣﴾ ﴾

ويقول فى سورة مريم – ١٢:﴿ يَٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَٰبَ بِقُوَّةٍ ... ﴾

ويقول لسيدنا موسى عن الألواح (الأعراف-١٤٥):﴿ وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِى ٱلْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُواْ بِأَحْسَنِهَا ... ﴾

فالفتوة كما هو واضح هى شدة الهمة وقوة العزم التى ترهب

الشيطان ..، مع ترقُّبِ النفس لكل نداء وكل عمل فى سبيل اللَّه..

٧ – حفظ الأمانة والعهد :

وهو ضد الخيانة والغدر .. يقول تعالى فى سورة الإسراء-٣٤:
﴿.... وَأَوْفُوا۟ بِٱلْعَهْدِ ۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا ﴿٣٤﴾ ﴾

ويقول : ﴿...وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَـٰهَدُوا۟ ۖ ...﴾ **(البقرة-١٧٧)**

ويقول فى النحل-٩١:﴿ وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَـٰهَدتُّمْ... ﴾

وأول عهد أخذ عليك كان يوم " ألست بربكم " حيث يقول تعالى فى سورة الأعراف :﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَـٰذَا غَـٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾ ﴾

فى عالم الأرواح قبل حضورك إلى الدنيا ، فأنت مطالب به ومسئول عنه يوم القيامة ، ثم إنك مسئول عن كل عهد فى طاعة اللَّه يؤخذ عليك ، ولقد عاهد ﷺ صحابته على أمور كثيرة اختلفت من موقف لموقف ومن جماعة إلى جماعة .. فعاهدهم على الجهاد ونصرة دين اللَّه... وعاهدهم على الإيمان وترك المنكرات، وعاهدهم على الصدق، وعاهدهم الا يسألوا الناس شيئا ..

والأمانة هى كل ما ائتمنت عليه من سر أو وديعة أو مال .. وأول أمانة عندك هى نفسك وإصلاحها .. وجسدك وقيامك عليه ...، وإيمانك هو أمانة عندك .. وإسلامك كذلك .. وأنت مسئول أن تقوم فى كل أمانة بما أوجب اللَّه تعالى فيها.

٨ – العدل والإحسان :

العدل هو إيتاء كل ذى حق حقه .. وضده الظلم .. والإحسان هو الفضل والزيادة .. يقول تعالى فى سورة النحل:﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾ ﴾

ويقول فى سورة الأنعام-١٥٢:﴿... وَإِذَا قُلۡتُمۡ فَٱعۡدِلُواْ وَلَوۡ كَانَ ذَا قُرۡبَىٰۖ .... ﴾

ويقول جل شأنه فى سورة التوبة-١٢٠:﴿ ... عَمَلٌ صَٰلِحٌۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٢٠﴾ ﴾

ويقول فى سورة المائدة-١٣:﴿... فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ وَٱصۡفَحۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٣﴾ ﴾

فالعدل إذا فى القول وفى العمل .. والإحسان يكون فى كل شئ كذلك.

٩ – الشكر :

وهو بمعناه العام الاعتراف بالمنة والفضل لصاحب الفضل..

وهو مقام عال فالشكر هو للّه تعالى على كل نعمة أنعمها عليك وهى لا تعد ولا تحصى، وأعظمها نعمة الإيمان، ثم الشكر لكل من أجرى لك النعمة على يديه..

يقول تعالى:﴿... أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ ... ﴾(لقمان-١٤)

ويقول ﷺ إنه لم يشكر اللَّه تعالى من لم يشكر من أجرى له النعمة على يديه ، فالإسلام دين أدب وأخلاق ، وليس معنى أنك ترى النعم كلها من اللَّه تعالى وهو الحق ألا تشكر من جعله اللَّه لك سببا فى وصول النعمة إليك ، فهو من جند اللَّه المسخرين بالنعمة إليك فافهم.

ويقول تعالى (سبأ-١٣) : ﴿..... ٱعْمَلُوٓا۟ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا ۚ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ ﴿١٣﴾ ﴾، فالشكر بمعناه الخاص هو ألا ترى بلاء من اللَّه أبدا .. بل كله خير وكله نعمة لك إما فى الدنيا وإما فى الآخرة وهو صِنوٌ للرضا . لذلك قلّ أهل الشكر .. واللَّه أعلم.

١٠- الصبر :

وضده الجزع .. ولا يكون إلا على المكروه .. والاحتساب عند اللَّه تعالى.. والصبر على العبادات والطاعات والصبر عن الشهوات.. كل ذلك أنواع من الصبر .. وجزاء الصبر عظيم عند اللَّه تعالى .. يقول جل شأنه فى سورة الزمر : ﴿ ... إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾ ﴾

ويقول فى سورة البقرة :﴿ ... وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾

كما يقول فى سورة لقمان :﴿ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ﴿١٧﴾ ﴾

١١- التوكل على اللّٰه :

وهو دوام النظر والالتجاء إليه لأنه مسبب الأسباب ومسخّر النتائج، يقول تعالى (الطلاق-٣) : ﴿ وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمۡرِهِۦۚ ... ﴾

وأى شئ أعظم من أن يكون اللّٰه تعالى هو حسب المتوكل عليه.

وصدقُ التوكل إنما يكون بتمام الأخذ بالأسباب مع الاعتماد والنظر على رب الأسباب، قال ﷺ لأعرابى ترك ناقته خارج المسجد دون عقال (أى دون رباط) أعقلها ثم توكل..أى خذ بالأسباب ثم توكل على اللّٰه.. فالنتائج بيده هو لا بالأسباب.

١٢- الحياء :

وهو رقة القلب ورفضه للدنايا . والحياء من اللّٰه هو الأصل فلا يراك منكرا لنعمة ولا مقبلا على ذنب .. ولا طامعا فيما لا تستحقه ..

والحياء شعبة من الإيمان كما يقول ﷺ .. والحياء لا يأتى إلاَّ بالخير حتى وإن كان الحياء من الناس. فإنه يدفع إلى معالى الأمور وينهى عن الفحش .

يقول اللّه تعالى (القصص-٢٥) : ﴿ فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا تَمْشِى عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ .... ﴾

١٣- الخوف والرجاء :

الخوف من اللّه تعالى وعدم الاستهانة بعذابه ووعيده .. والرجاء فى رحمته وفضله الذى وعد بهما عباده الطائعين..

فالمؤمن دائما أبدا بين هاتين الحالتين فهو لا يأمن مكر اللّه تعالى وبطشه وغضبه لانتهاك محارمه وعصيانه .. ولا ييأس أبدا من رحمته جل شأنه التى وسعت كل شئ .. فإن غلبت عليه المعاصى فليرجح جانب الخوف من اللّه تعالى ويستحضر هيبته وجبروته حتى يقلع عنها .. فإن غلبت عليه الطاعة فليرجح جانب الرجاء فى رحمته وفضله حتى يزيد من طاعته ، ولكنه لا ييأس أبدا ولا يقنط من رحمته تعالى يقول تعالى فى سورة الزمر: ﴿ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ ﴾

ويقول فى سورة الحجر : ﴿ قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ﴿٥٦﴾ ﴾

* * *

هذه هى بعض الصفات الحميدة فى النفس والتى يطالبنا ديننا الحنيف بالاتصاف بها .. ، وكما تلاحظ أن الصفات الذميمة تكاد تكون كلها من أصل واحد وهو حب الدنيا وشهواتها .. فكذلك تجد أن الصفات المحمودة تكاد كلها من أصل واحد وهو حب الآخرة وقصد وجه اللّه تعالى . ، ذلك أن الإيمان فى الحقيقة كلٌ لا يتجزأ.. بمعنى أن الصفات الحميدة تنبت صفات حميدة .. فالكريم تجده رحيما.. محسنا.. صادقا.. عادلا أمينا .. والفاسق تجده .. جلفا .. بخيلا .. مسرفا أو شحيحا.. غادرا ..

فالإيمان أو الفسوق هما الأصل فى القلب ومنهما تنبت هذه الصفات .. ، نعم قد تقوى صفة عن صفة .. وقد تضعف صفة فلا تكاد تظهر .. ولكنها موجودة فى قلبه طالما كان الإيمان موجودا بقلبه..،

وسبق القول بأن الإيمان يزيد وينقص ، أى تقوى صفاته أو تضعف.. لسبب عارض فى النفس ، فقد يضطر المؤمن لكذب مثلا لضعف عارض فى إيمانه ساعتئذ . ولكن فرق بنى كذب الفاسق وكذب المؤمن ..، فالفاسق يستملح الكذب .. ويفرح بنجاته بكذبه وتصديق من كذب عليه له ، ولا يندم ولا يتوب ولا يشعر بالذنب أصلا ، ولكن المؤمن إذا أضطر للكذب فهو فى ضيق وهم وألم وندم ، لا يستملحه ولا يفرح به..، وهذا أمر فى القلوب .. ألا ترى إلى قوله ﷺإن السارق لا يسرق حين يسرق وهو مؤمن ، وإن الزانى لا يزنى حين يزنى وهو مؤمن. فهذا يدل على أن صفة الإيمان تنزع منه فى هذه اللحظات، فلا يكاد يُبصر أو يعى .. فإذا عاد الإيمان إليه بعد ذلك عاد بالندم والحسرة عليه..

والسؤال الآن هو ماذا يكون الأمر لو مات العبد وهو يرتكب معصية من هذه المعاصى!!!

يقول ﷺ إن المرء يحشر على ما مات عليه .. وهنا تكون الطامة الكبرى والعياذ بالله .. فإن العبد إذا ابتعد عن الإيمان لحظة يجب عليه أن يسارع إلى التوبة والندم خوفا من انتهاء أجله وهو على هذه المعصية، حتى وإن غلبته نفسه ولم تعزم على ترك الذنب لشهوتها إليه..، فعليه أن يسوسها ويتوب إلى الله ويستغفره صادقا ، فما يدريه فربما يكون أجله أقرب إليه من معاودة اقتراف ذنبه فإن مات يموت تائبا.. والله أعلم ..

ولننظر معاً إلى بعض صفات المؤمنين فى القرآن الكريم.

يقول تعالى فى سورة المؤمنون(١-١١):

﴿ قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ﴿٤﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ﴿٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١١﴾ ﴾

ويقول تعالى فى سورة الفرقان : ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا

﴿٦٣﴾ وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمۡ سُجَّدٗا وَقِيَٰمٗا ﴿٦٤﴾ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ
رَبَّنَا ٱصۡرِفۡ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَۖ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾ إِنَّهَا
سَآءَتۡ مُسۡتَقَرّٗا وَمُقَامٗا ﴿٦٦﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمۡ يُسۡرِفُواْ وَلَمۡ يَقۡتُرُواْ
وَكَانَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ قَوَامٗا ﴿٦٧﴾ وَٱلَّذِينَ لَا يَدۡعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا
ءَاخَرَ وَلَا يَقۡتُلُونَ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَلَا يَزۡنُونَۚ
وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ يَلۡقَ أَثَامٗا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفۡ لَهُ ٱلۡعَذَابُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ
وَيَخۡلُدۡ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلٗا صَٰلِحٗا
فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمۡ حَسَنَٰتٖۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴿٧٠﴾
وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ مَتَابٗا ﴿٧١﴾ وَٱلَّذِينَ
لَا يَشۡهَدُونَ ٱلزُّورَ وَإِذَا مَرُّواْ بِٱللَّغۡوِ مَرُّواْ كِرَامٗا ﴿٧٢﴾ وَٱلَّذِينَ
إِذَا ذُكِّرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ لَمۡ يَخِرُّواْ عَلَيۡهَا صُمّٗا وَعُمۡيَانٗا ﴿٧٣﴾ وَٱلَّذِينَ
يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبۡ لَنَا مِنۡ أَزۡوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعۡيُنٖ وَٱجۡعَلۡنَا
لِلۡمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾ أُوْلَٰٓئِكَ يُجۡزَوۡنَ ٱلۡغُرۡفَةَ بِمَا صَبَرُواْ
وَيُلَقَّوۡنَ فِيهَا تَحِيَّةٗ وَسَلَٰمًا ﴿٧٥﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ حَسُنَتۡ مُسۡتَقَرّٗا
وَمُقَامٗا ﴿٧٦﴾ ﴾

ويقول تعالى فى سورة البقرة : ﴿ ۞ لَّيۡسَ ٱلۡبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ
قِبَلَ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلۡبِرَّ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ
وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلۡكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ وَءَاتَى ٱلۡمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِي

ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ ۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ (١٧٧) ﴾ صدق الله العظيم.

فانظر رحمك اللّه إلى هذه الصفات الجامعة لكل أبواب الخير والسعادة فى الدنيا والآخرة .. وادع اللّه تعالى أن يعلمنا إياها وأن يجعلنا من عباده الصادقين..

وسوف نتعرض فى الباب التالى لبعض الآداب التى يجب أن تتأدب بها نفس المؤمن زيادة عما ذكر فى هذا الباب بإذن اللّه تعال .

• ملاحظة :

يقول اللّه تعالى:﴿... إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ... ﴾ (التوبة-٢٨)

ونجاسة المشرك هى نجاسة معنوية وليست مادية .. فلو اغتسل فإن نجاسته لا تزول بالاغتسال .. فإذا آمن باللّه فقد تطهر وزالت نجاسته.. ذلك أن نجاسة الكافر هى غفلته وعمى بصيرته عن اللّه تعالى.. فهى نجاسة قلبه وبعده عن ذكر اللّه وعدم الإيمان به جل شأنه.

وعلى النقيض فإن المؤمن طاهر حياً وميتا كما يقول ﷺ.. ولكن اللّه تعالى يأمرنا بالاغتسال من الجنابة وما شابهها يقول جل شأنه :
﴿ ... وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَٱطَّهَّرُوا۟ ۚ ...﴾ (المائدة-٦)

فالجنابة وما شابهها تجعل المؤمن غير طاهر مؤقتا .. ويتطهر بالاغتسال .. ويقال إن من حِكَم الاغتسال أن أعضاء الإنسان تعمها

الشهوة ويغفل قلبه عادة عن ذكر اللّه تعالى وهو في حالات المباشرة.. وهذه الغفلة اللحظية تجعل الملائكة والحفظة تبتعد عنه وتنفر منه .. ولا تعود إليه إلا بعد الامتثال لأمر اللّه تعالى بالاغتسال عقب الجنابة أو الاحتلام.. حتى وإن عاد قلبه لذكر اللّه عقبهما فإن الالتزام بحكم الشرع فرض عليه وطاعة واجبة .. فليس هناك أى ذريعة ولا عذر لعدم تنفيذ أوامر الشرع.

فإن سال سائل بأن اللذة المذكورة قد تكون فى اليقظة ولكنها قد لا تكون خلال الاحتلام وأنت نائم ، قلت له أنت لا تدرى ما يعترى جسدك ولا نفسك من حالات خلال انفصال هذا الماء عنك ودفعه خارج جسمك وانشغال القلب بأوامره للأعضاء المختصة به لطرده، واللّه الأعلم بعبيده ظاهرا أو باطنا.

فإن قال قائل فإن الحائض والنفساء لا يعم جسدها شهوة أو غفلة عن اللّه ، ورغم هذا يلزم الاغتسال للعودة إلى الصلاة وخلافها .. قلنا له : هذا صحيح، ولكننا لا نعلم من أسرار اللّه تعالى إلا أقل القليل .. وما أراده اللّه لمن اختاره اللّه للمعرفة ، فالأوامر كلها للطاعة وليست للنقاش .. فنحن نأتمر وننفذ ، والحكم والأسرار عند اللّه تعالى ...

وقد ظللت الأعوام الطويلة لا أفهم حكمة لقول رسول اللّه ﷺ "غفرانك" إذا خرج من الخلاء .. فالرسول ﷺ يسال اللّه المغفرة .. فأى مناسبة بين الفعل والدعاء. حتى علمت باجتهاد أحد المجتهدين بأن دخول الخلاء يخلّص الجسم من فضلات ضارة .. ولو حبست فيه لأضرت به الضرر البالغ .. ، فنحن نعلم أن البول والغائط إذا حُبسا فى جسم الإنسان فإن مصيره إلى الموت المحتم لما فيهما من سموم تودى بالحياة ...، فالذى يدخل الخلاء ويتخلص منها ويخف جسده من هذه الأقذار يشعر بالراحة الجسدية والنشاط فى أعضائه...، وتبقى عليه ذنوبه

ومعاصيه .. وهى ثقيلة على القلب والروح تماما كفضلات الإنسان وأثرها على جسده..، بل وأشد وأخطر .. فإن الذنوب تورث الفسوق.. والفسوق يؤدى إلى النار وخسران المرء آخرته ..، فالدعاء بطلب المغفرة من اللّه تعالى عقب الخروج من الخلاء مناسب تماما وفيه منتهى الحكمة.. فأنت تدعو اللّه كما خلّصك من أثقالك المادية وطهّر جسدك من الخبث أن يغفر لك ويطهر قلبك وروحك من الذنوب المهلكة للقلب والروح..، هذا رأى بعض المجتهدين على قدر ما يَسَّرَ اللّه له الفهم .. واللّه تعالى أعلم بالسر.. فربما كان للحائض والنفساء أسباب أخرى تستدعى الاغتسال وكلنا نعلم أن المرأة فى هذه الفترات تكون متغيرة المزاج، واللّه أعلم بمراده وما علينا إلا الامتثال..

ومقصود الكلام هو أن غفلة المؤمن عن اللّه تعالى بأية صورة من صور الذنوب أو بصفة من صفات النفس الذميمة تمثل نوعاً من الغفلة عن اللّه بدرجات متفاوتة فليس ذنب كذنب ولا غفلة كغفلة ..، ولذلك يقول بعض المفسرين فى شرح قوله تعالى فى سورة الواقعة:﴿ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلۡمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾

إن المقصود هو أن كتاب اللّه تعالى وأسرار هدايته لا يلمسها ولا يفهمها ولا يقربها إلا المطهرون نفساً وروحا وقلبا ، وذلك بطهارة الإيمان والصفات الإيمانية فى القلب ... فالذين طهرت قلوبهم وتطهرت نفوسهم هم الذين يتلقون هذه المعانى السامية من كتاب اللّه تعالى خلال سبحات أرواحهم فى عالم الملكوت ..، ذلك أن العين التى تنظر إلى الحرام وتهتك الأعراض لا يمكن أن تكون هى العين التى تنظر بنور اللّه ، ولا يمكن أن يكون صاحبها هو البصير الذى ذكره اللّه تعالى فى كتابه..، والقلب الحريص على شهوة النساء أو المال ومشغول بها لا يمكن أن يكون هو القلب المشغول بربه وآخرته وذكر اللّه وعبادته،

فأنىّ له أن يلتقط المعانى السامية والدرر الإلاهية.

وإن كان رسول اللّه ﷺيقول " الوضوء سلاح المؤمن " ويحضنا على دوام الوضوء ما استطاع المؤمن ذلك .. فإنما يعلمنا ﷺدوام طهارة الظاهر حتى ننتقل بها إلى دوام طهارة الباطن .. فدوام الوضوء يجعلك بالضرورة تلتفت إلى طهارة نفسك بمراقبتك للّه تعالى ..، ووضوء القلب هو الاستغفار ..، وصلاة القلب هى الذكر .، وزكاة القلب هى التفكر فى اللّه تعالى وملكوته ، وصيامه هو الصيام عما سوى اللّه تعالى..، وحَجه هو النظر الدائم إلى وجهه الكريم فافهم.

وقوله تعالى:﴿ وَذَرُواْ ظَـٰهِرَ ٱلۡإِثۡمِ وَبَاطِنَهُۥٓۚ ....﴾ (الأنعام-١٢٠)

يدل على أن للإثم ظاهرا وباطنا . ، ويدل على أن هناك آثاماً ظاهرة .. وآثاماً باطنة. ، يقول تعالى: ﴿ وَلَا تَكۡتُمُواْ ٱلشَّهَـٰدَةَۚ وَمَن يَكۡتُمۡهَا فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٞ قَلۡبُهُۥۗ ﴾ (البقرة-٢٨٣)..، فالقلب قد يأثم دون فعل ولا عمل ..، فإن كتمان الشهادة ليس بفعل ظاهر ..، بل هو سكوت عن فعل ، وإن كان فى الحقيقة هو عمل من أعمال القلب لمعرفته بالحق وكتمانه إياه.

فالقلب يأثم إذا انعقد فيه الإثم الباطنى دون عمل بالجوارح ..

كذلك النية من أعمال القلب .. وهى باطن الفعل.. فإنى إن فعلت فعلا ظاهره الطاعة كالإحسان إلى شخص ما.. فهذا عمل صالح.. ولكن إذا انعقدت نيتى على أن هذا الفعل إنما قصدته لأنال به غرضا سيئا فى نفسى .. فهذا باطن الإثم واللّه اعلم ..

ويقول ﷺ أن الناس يحشرون يوم القيامة على نياتهم فافهم.

والحقد والحسد والعجب والكبر والرياء والنفاق كلها من أعمال القلب والآثام الباطنية.

وخلاصة القول أن المؤمن يجب أن يكون حريصا على طهارة قلبه أشدّ وأحرص من طهارة جسده..

* * *

موجز الباب السادس

فإذا أردنا أن نلخص لك ما تم عرضه فى هذا الباب نقول :

- أخلاق النفس قابلة للتغيير والتأديب.
- عموم الخلق قد يكونون فى مرتبة النفس الأمارة بالسوء..، وعموم المسلمين قد يكونون فى مرتبة النفس اللوامة .
- الارتقاء بالنفس إنما يكون بمخالفة الشهوات ومخالفة العادات والاهتمام بالعبادات.
- لا ميزان للنفس إلا ميزان شرع اللّه ولا تنفعها أعراف ولا تقاليد.
- الصفات الذميمة فى النفس أخطرها : الإسراف والكبر والعجب والنفاق والغدر والخداع والكذب والغرور والحسد والتبذير والشح والغيبة والنميمة وحب الجاه والجدل والمكابرة والظلم ..
- الصفات المحمودة فى النفس أهمها :

١ – الكرم | ٢ – الحلم والعفو
٣ – الإخلاص | ٤ – الصدق
٥ – الحب فى اللّه | ٦– الفُتُوَّة
٧ – حفظ العهد والأمانة | ٨ – والعدل والإحسان
٩ – الشكر | ١٠– الصبر
١١– التوكل على اللّه | ١٢– الحياء
١٣–الخوف من اللّه والرجاء فيه.

- نجاسة الكافر معنوية .. وطهارة المؤمن لا تكتمل إلا بكمال نفسه وقلبه.
- المؤمن يتجنب ظاهر الإثم وباطنه.

* * *

اللَّهم اهدنا لأحسن الأخلاق لا يهدى لأحسنها إلا أنت .. واصرف عنا سيئها لا يصرف عنا سيئها إلا أنت .. وتب علينا اللَّهم توبتك النصوح التى أنت التائب فيها على عبادك وطهّر اللَّهم ما نصنع وزكِّ ما نعمل واجعل كل واحد منا فى عالمك كتابا مسطورا بالهدى والنور.. وصلِّ وسلم وبارك على عبدك وحبيبك سيدنا محمد وعلى آله وصحبه والتابعين وعلى عبادك الصالحين ونحن معهم أجمعين ما ذكرك الذاكرون وغفل عن ذكرك الغافلون.

* * *